19me, année No 934

LeCaire 28 — 5 — 1951

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات بك

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٩٣٤ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٢ شعبان سنة ١٣٧٠ — ٢٨ مايو سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة »

عقبات تعترض النهضة
فى البلاد العربية

للدكتور محمد يوسف موسى

نعم، كلنا نحس إحساسا شديدا هذه الأيام بأن هناك عقبات تقف فى سبيل النهضة فى البلاد الشرقية أو العربية أو الإسلامية، وكل هذه التعابير تؤدى فى رأينا مدلولا واحدا. عقبات يرجع بعضها إلى سوء توزيع موارد الثروة الطبيعية إلى حد شنيع يثور من أجله الضمير والدين، فكان من ذلك الفقر والحرمان والجوع، وهذا ثالوث بغيض ولاسيما وهو لم يدع لنا لحظة نفكر فيها فى الند، بله نهضة الوطن الأكبر! ويرجع بعضها، فى رأى غير قليل من الكتاب، إلى أننا لم نتطلق الاطلاق كله فى اصطناع مظاهر الحضارة والحياة الغربية، متناسين أن لكل أمة مقوماتها التى بها يكون لها كيان خاص ووجود محترم. كما يرجع بعضها الآخر إلى أن الزعماء والساسة لا يريدون حقا هذه النهضة، ما داموا لا يتخذون الطرق المؤدية لها

على أن هناك عقبة أخرى لها فى رأيى الخطورة البالغة، ومن ثم يجب أن نعمل — ولكن فى تؤدة وتبصر — على إزالتها من الطريق، نعنى بها افتراق عقلية الأمة العربية افتراقا كبيرا إلى عقليتين مختلفتين، كل واحدة منهما لها فهمها للحياة وأهدافها ووسائلها التى تتعارض وما للعقلية الأخرى من هذا كله، وبذلك يشق العالم العربى بين هاتين العقليتين المتباعدتين:

١ — عقلية مدنية تعرف الغرب وتأخذ عنه وعن نظمه وتقاليده وحضارته، أكثر بكثير مما تعرف العروبة والإسلام وحضارته

٢ — عقلية دينية تجهل علوم «العصر» وحضارته، ونشأت على الدين دون أن تفهمه فهما صحيحا أو تعنى بتطبيق مبادئه وأصوله، والحكم هنا طبعا على المجموع لا على الجميع

ورجال العقلية الأولى يبدهم أمر الحكم وسياسة البلاد، وقد فتنهم الغرب بمظاهره الخادعة، وجهلوا الدين جهلا يكاد يكون تاما فاحتقروا ممثليه، وظنوا من الخير التخفف منه ومن تقاليده، لأنه — كما زعموا — لا يساعد على النهوض، وتناسوا لجهلهم بالتاريخ مقدار ما أفاد الغرب والإنسانية عامة مما فى الإسلام وحضارته من حيوية ومبادئ صالحة للحياة القوية العزيزة الكريمة

إن هؤلاء الناس لا يعرفون، حين يشيدون بما قررت الثورة الفرنسية من حرية وإخاء ومساواة، أن عمر بن الخطاب رضوان الله عليه هو الذى وضع أساس ذلك كله مستوحيا روح الاسلام — حين قال: «لم تستعبدون الناس وقد ولدتهم أمهاتهم

أحرارا » ! وحين رفض أن يصيب من طعام لا يجد عامة المسلمين السبيل إليه ، وكان ذلك الطعام من سنام جزور ! ولا يعرفون كذلك أن عمر أيضا هو الذى وضع الأساس العملى للعدالة الاجتماعية وضمان المعيشة الطيبة للناس جميعا ، بما فرض على الدولة من نفقة للفرد — بله المسلم ! — وعياله حين يعجز عن العمل

أما رجال العقلية الدينية ، فقد عرفوا ظاهرا من الدين ، حين ظنوه رسوما تقام وعبادات تؤدى فحسب ، وتجاهلوا حقيقته وغايته ووسائله ، جهلوا أو تجاهلوا أن للدين رأيه فى تحصيل القوة ، ورأيه فى الحرية والمساواة بين الكبير والصغير؛ فلا سادة ولا مسودين إلا بالعمل الخير يقوم للوطن والأمة . جهلوا أو تجاهلوا أن الدين ، فضلا عن أنه صلة بين العبد وربه تقوم على ما نعرف من شعائر وعبادات مقدسة ، يدعو فى إلحاح إلى أن تقوم العلاقة بين الانسان وأخيه الانسان ، أو بين الحاكم والمحكوم ، على أساس العدل والتسوية ؛ كما يدعو فى إلحاح كذلك إلى عدم الخوف إلا من الله وحده ، وإلى أنه لا طاعة لمخلوق ، مهما علا شأنه ، فى معصية الخالق . أليس رسول هذا الدين ، صلوات الله وسلامه عليه ، يقول : « السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب أو كره ما لم يؤمر بمعصية ، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة » ، أو كما قال !

ولو عرفوا ذلك معرفة عملية حقة لجاهدوا مع المجاهدين فى بعث الأمة من نومها ، ولأعدوا الشعوب للمطالبة الجادة القوية بحقوقهم ، ولجعلوا بهذا ولاة الأمر فى الشرق من عوامل نهضته بدلا من أن يكونوا حجر عثرة فى طريق هذا النهوض

لقد عكفنا على الماضى وحده ، وتجاهلنا العصر ومعارفه وعلومه التى لابد منها للنجاح فى الحياة ؛ ولتسخير الكون لنا كما أمر الله ، واكتفينا بترديد أن الاسلام صالح لكل زمان ومكان . دون أن نكلف أنفسنا محاولة تبيين أن له حقا هذه المزية والفضيلة ؛ وهذا لا يكون إلا بالبحث والمقارنات بين النظم القائمة وبين نظم الإسلام وتقاليده

كان من هذا ، كما نرى ونلمس ، أن زادت الهوة بين فريق الأمة اتساعا . وكان من هذا أيضا ، أن صارت الأمة لا تسمع لنا ، نحن رجال الدين ، ما دمنا نعيش فى نطاق خاص محدود ، وما دمنا لا نضرب بأعمالنا للأمة المثل الطيبة الصالحة فى تقويم المعوج وإن أوذينا فى أرزاقنا وأنفسنا وأبنائنا !

ولا علاج لهذا فى رأينا إلا بتوحيد التعليم على أساس قوى من التمكين للدين والثقافة الإسلامية ، بأوسع معانيها وحدودها ، فى مرحلة التعليم العام الابتدائى والثانوى ثم بعد هذا ، يجب ألا نكتفى بالماضى نقتفى آثاره ، بل علينا أن نبنى عليه فنصل الماضى بالحاضر ؛ وأن نفيد من حضارة العصر ، فنعمل على أن يكون منا ، بجانب الغربيين ، مخترعون ومكتشفون ورجال صناعة . ولن يكون لنا هذا كله أو بعضه ، ما لم نقض على هذه الثنوية فى التعليم على الأساس الذى بيناه ، وحينئذ يتعاون أفراد الأمة جميعا ، سواء من آثر بعد المرحلة العامة فى التعليم التخصص فى العلوم الدينية ، ومن آثر التخصص فى العلوم والثقافة الدينية الإسلامية

هذا ، والله يهدينا جميعا سواء السبيل

محمد يوسف موسى

تاريخ الأدب العربى

للأستاذ أحمد حسن الزيات بك

يؤرخ الأدب العربى من عصر الجاهلية إلى هذا العصر، بأسلوب قوى ، واستيعاب موجز، وتحليل مفصل، واختيار موفق، ومقارنة بين الأدب العربى والآداب الأخرى

طبع الثنى عشرة مرة فى ٥٢٥ صفحة

وثمنه أربعون قرشا عدا أجرة البريد

بحث مقارن :

أصل كلمة « ختن »

للأستاذ الأب مرمرجي الدومينيكي

يتهمني بعضهم بالتعصب الشديد للعربية لمجاهرتي بتفوقها على أخواتها السامية من وجوه شتى ، منها محافظتها على الأصول البدائية العريقة في القدم . ويرشقني غيرهم بسهام اللام ناسبين إلى « الابتداع في عالم اللغويات » ، لقولي بأن « الثنائية والألسنية السامية » من أنجع الوسائل للتحقيقات المعجمية ، ومن أمكن الأسس للاشتقاقات اللفظية ، والتطورات المعنوية

على أن أفضل السبل في نظري وحسب خبرتي للرد على هذه المدعيات هي اللامبالاة مع الثابرة على اتباع خطتي المختطة من أمد بعيد ، وترك الخيار لأهل الذوق والعلم في قبول النظرية أو رفضها

في هذه الفرصة أتخذ موضوعا للبحث كلمة « ختن » الزاعم بعضهم بأنها سريانية دخيلة في العربية . وقبل إتمام النظر في الموضوع أسرد مواد البحث كما هي واردة في الألسنة السامية

السريانية : خالية من المجرد . وفيها « حتنا » : ختن ، صهر ، عريس . « حتين » ختن ، صاهر . « إتحتين » : صاهر ، تزوج

العبرية : « ختن » : ختن ، حمو . « خوتين » : زوج ابنته ، تصاهر . « هتختين » : تصاهر . « خوتن » : صهر ، ختن ، زوج البنت ، عريس ، ذو قربى

الأكدية : « ختانو » : قطع ، حمى . « ختنو » سكين ، موسى ، حماية . « ختانو » : صهر ، ختن ، حمو

الحبشية : لا وجود فيها لهذه المادة

العربية : ختن الشيء : قطعه . ختن الغلام : قطع قلفته . اسم الفاعل : خاتن . اسم المفعول : مختون وختين . المصدر . ختن وختان ، ودعوة الختان . حرفة الخاتن : الختانة . الختن : الحمو ، وكل من كان من قبل المرأة ، مثل الأب والعم والأخ . والختن أيضا : زوج ابنة الرجل ، أو صهره . وأصل المعنى في هذه المادة : القطع

تفسير وتعليل :

١ — إن الرس الأصيل لهذه المادة وارد في العربية وحدها ، دون بقية أخواتها السامية . وهذا الرس هو الثنائي « خت » ، المراد به : طعن بالسنان متداركا . وهو بدء المعاني المتطورة ، وفي الطعن قطع

٢ — توسع الثنائي « خت » بزيادة النون تذييلا ، فنجم عنه الثلاثي « ختن » . ومعناه الأول : قطع ، من باب الإطلاق . وهذا مدلول القطع وارد أيضا في الأكدية ، في لفظة « ختانو » . ومنه « ختنو » : سكين ، موسى ، أي آلة القطع . ثم دل في الأكدية أيضا على « الحماية » . لأنها متوقفة على منع أو قطع الأذى من أن ينزل بالشخص المحمي

٣ — لكن في العربية وحدها جاء ، من باب التقييد ، الفعل « ختن » ، بمعنى قطع القلفة . والفاعل أو المحترف « ختان » ؛ والمفعول أو المتحمل العملية « مختون وختين » ؛ واسم العمل « الختن والختان » ثم الدعوة أو الوليمة بمناسبة الختان . و « الختانة » حرفة الختان . وورد في الحبشية « ختن » : دار الختان

٤ — كل هذه الفحاوى المتضمنة في فعل « ختن » ومشتقاته لا وجود لها في العبرية ، ولا في السريانية ، ولا في الحبشية . لأن الفعل المستعمل في العبرية للدلالة على الختان هو « مول » ، والختانة « ميله » ، والختان « موهيل » . وفي السريانية ينظر إلى فعل « ختن » « جزر » ، والختانة « جزرتا » ، والختان « جازورا » . كذلك الحبشية لا أثر فيها لفعل « ختن » . فإن الوارد فيها هو فعل « كسب » (مقابله في العربية : كسف) و « جزر » (ينظر إليه في العربية : جزر) وكلاهما بمدلول : ختن

٥ — في العربية ، يطلق اسم « الختن » على أبي الزوجة ، وعلى كل من كان من قبل المرأة ، مثل العم والأخ . ويراد به

أيضا : زوج ابنة الرجل ، أو صهره . ومنه صدر فعل ختن : صاهر

٦ — فى العبرية ، وردت لفظة « حتن » دالة ، كما فى العربية ، على الحمى أو أبى المرأة . و « حوتن » بمعنى الصهر ، أو زوج بنت الرجل ، والعريس ، والمختون أما السريانية فلا يوجد فيها إلا كلمة « حثنا » بمدلول الختن والصهر . ومن « حثنا » اشتق ارتجالا المرادان « حتين » و« إتحتين » . صاهر ، تزوج . أما أبو المرأة فيقال له : « حم أو حما »

٧ — فى الأكدية ، يطلق « حتانو » على الحمى والصهر معا . أما الحبشية فلم يرد فيها أدنى صيغة من هذه المادة بمعنى الحمى والصهر ؛ لأن المستعمل فيها هو « مرعاوى » : صهر عريس . ومؤنثه « مرعات » : عروس . و « حم » بفحوى الحمى

٨ - كل ذلك يدلك على أن هذه المادة قد بدأت فى العربية وحدها . وتوسعت بطريق التطور الطبيعى والنطق العام ، من الثنائى « خت » إلى آخر المداليل لفعل « ختن » ومشتقاته . وتماثلها الأكدية فى ذلك بعض المماثلة . أما العبرية ولاسيما السريانية — فالتطور فيها ناقص . إذ لا فعل مجرد فيهما يدل على الختان

٩ — ولنعترض أن يقول : أية مناسبة بين « الختان » ورابطه القرابة الأهلية بين الأسر ؟ الجواب على هذا هو أن التاريخ يعيدنا كثيرا فى شأنه لأنه يعلمنا أن (الختان) كان عند أعلب قدماء الشعوب ، من الشروط الضرورية لدخول المرء فى الحياة الاجتماعية ، ومن الأمور الممهدة للحياة الزوجية ، فكان يجرى قبل الزواج . وكان الأب ، أو رب البيت يقوم بهذا العمل . وشاهد ذلك عمل إبراهيم الذى ختن هو ذاته ابنه إسماعيل ومن كان فى بيته

١٠ — وكان من حقوق الأب أن يشترط على من يخطب ابنته ، أن يختتن قبل زواجه ، ولما كان الأب هو الختان ، أو الملزم بختان صهره ، دعى فى العبرية والعربية (ختنا) أو قل (ختنا)

١١ — وإذ كان خاطب بنت الرجل أو صهره ملتزما بأن يكون مختونا قبل زواجه ، سمى هو أيضا فى العربية والعبرية (وفى هذا وافقتهما السريانية) ، وفى الأكدية باسم « الختن » بمعنى المختون أو المختتن

١٢ — ومن يعرف العبرية ويطالع العهد القديم من الكتاب المقدس يجد التأييد لما بسطناه فى كثير من المواطن . من ذلك ورد « ختن » فى النص العبرى بدلالة الحمى ، فى الآيات التالية : خروج ٣ : ١ ، ٤ : ١٨ ؛ ١٨ : ١ — ١٥ . قضاة ١ : ٦ ؛ ٤ : ١١ . وجاءت لفظة « حوتن » بدلالة الصهر ، فى هذه الآيات الأخر : سفر الخلق ١٩ : ١٢ ؛ خروج ٤ : ٢٥ . قضاة ١٥ : ٦ ؛ ١٩ : ٥ — ١ صموئيل ١٨ : ١٨ ؛ ١٢ : ١٤ .

١٣ — ومن باب التوسع ، شمل اسم « الختن » غير أفراد من العائلة ، كالعم والأخ ؛ لا ؛ بل ان جميع أقارب المرأة يدعون « أحتانا » بالنسبة إلى الصهر ، أو زوج بنت الرجل

فأين من كل هذه الحقائق الجلية زعم القائل « ختن حرف سريانى . » ومراده بذلك أنه دخيل فى العربية من السريانية . ومن هذا البحث يظهر بوضوح تفوق العربية على أخواتها السامية ، لصيانتها الأصول القديمة ، والرماس البدائية . وتتجلى أيضا فائدة « الثنائية والألسنية السامية » للأبحاث المعجمية ، وبهذا تسقط الدعيات الاعتباطية ، والسلام

الأب مرمرعى الدوسكى

تظهر قريباً الطبعة الثامنة منقحة
من كتاب
آلام فرتر
للأستاذ أحمد حسن الزيات
وهى القصة العالمية الواقعية الرائعة الخالدة
للشاعر الفيلسوف
« جوته » الألمانى .

بريطانيا العظمى

للأستاذ أبو الفتوح عطيفة

لعلك أيها القارئ الكريم توافقني فيما أذهب إليه من أن عظمة الأمم ترجع أولا وقبل كل شئ إلى عاملين هامين : أولهما قوة روحية تدفع أبناءها إلى تضحية أرواحهم من أجلها وإلى استعذاب الردى في سبيلها وهو ما يمكن أن يسمى بالإيمان الوطني — وثانيهما قوة مادية تحقق لهم ما يبغون لوطنهم من نصر ومجد

وقد قصصنا عليك فيما سبق مدى قوة الشعب البريطاني الروحية وعظم ثروته الخلقية ؛ ووصفنا لك إيمان البريطانيين بوطنهم وحبهم له وإقبالهم على التضحية في سبيله

وعندي أن القوة الروحية هي العامل الرئيسي ؛ ولكن ذلك لا يمنع من خطر القوة الثانية وهي القوة المادية ، فإن الجندي الذي ينزل إلى ميدان القتال وهو أعزل من السلاح مصيره حتما إلى الدمار . وقد كفلت بريطانيا لنفسها القوة الثانية ويرجع الفضل في ذلك إلى أنها أولا وقبل كل شئ دولة صناعية ؛ بل إنها أولى دول العالم الصناعية

ويحسن بي قبل أن أحدثك عن الصناعة في بريطانيا أن أحدثك عن أمر له خطره وله شأنه . ذلك أن العلماء يقسمون حياة الأمم والأطوار التي تمر بها إلى أربعة أدوار :

الدور الأول : وهو المرحلة التي يحترف فيها الإنسان القنص والرعي . وأظنك توافقني على أن هذه المرحلة مرحلة بدائية لا يتقدم فيها الإنسان ولا يرقى ولا يتحضر . وإن نظرة واحدة إلى حالة الزنوج في أواسط أفريقيا وإلى حالة البدو في الصحراء ستجعلك من غير شك تؤمن بصدق هذه النظرية ، فإن الزنوج والبدو يعيشون هذه المعيشة منذ خلقوا ، وسيبقون كذلك مالم يضطروا اضطرارا إلى تغيير أساليب حياتهم

الدور الثاني : وهو المرحلة التي احترف فيها الإنسان الزراعة وقد كانت الزراعة أول خطوة في سبيل التقدم والتمدن ، ذلك أن الإنسان عند ما اشتغل بالزراعة استقر في مكان وبدأ يعمل على تحسين حالته والنهوض بها ، ومن هنا كانت الحضارة الأولى التي ظهرت في التاريخ حضارات زراعية قامت في مصر وفي العراق وفي الصين منذ آلاف السنين

الدور الثالث : وفي هذا الدور اشتغل الإنسان بالتجارة وتعتبر هذه المرحلة أرقى من المرحلة السابقة

وقد بدأ سكان بريطانيا حياتهم باحتراف الرعي والقنص ثم اشتغلوا بالزراعة ، ولكن الزراعة لا تجود في بريطانيا ومن ثم اشتغل سكانها بالتجارة ، وقد رأينا فيما سبق كيف أدى هذا إلى قيام الصراع بين إنجلترا وأسبانيا أولا ثم بين إنجلترا وفرنسا ثانيا ، وكيف انتهى الأمر بانتصار إنجلترا وتكوينها الإمبراطورية عظيمة هي أعظم الإمبراطوريات التي شهدها التاريخ ، ورأينا كذلك كيف أصبحت بريطانيا سيدة البحار وهي الآن تملك أقوى أسطول تجاري وحربي في العالم

ويطيب لي أن أذكر كذلك أن أهم عامل في قيام النزاع بين ألمانيا وإنجلترا منذ أواخر القرن التاسع عشر حتى أيامنا هذه كان سيطرة بريطانيا التجارية على أسواق العالم

الدور الرابع : وهو أعظم الأدوار شأنا وأبعدها شأوا وأكبرها أثرا وهو الدور الذي تشتغل فيه الأمة بالصناعة ؛ وتعتبر الأمم الصناعية أرقى الدول وأعظمها شأنا

وبريطانيا هي أولى دول العالم الصناعية ومن ثم كانت أعظم الدول شأنا وأكبرها أثرا في توجيه السياسة العالمية . ويطيب لي أن أنوه بأن التقدم الصناعي ثمرة من ثمار التقدم العلمي ومن ثم كان اهتمام بريطانيا بالبحث العلمي عظيما ؛ فهي تتيح لصفوة علمائها كافة الوسائل لينقطعوا للبحث العلمي

ولعلك أيها الصديق الكريم تسألني عن العوامل التي أدت إلى قيام الصناعة في بريطانيا وكيف وصلت بريطانيا إلى مكانتها الصناعية الحالية . وأنا أجيبك بأن الصناعة الحديثة تحتاج إلى الآلات أولا ، وإلى قوة تحركها ثانيا ، وإلى المادة الخام ثالثا ، وإلى اليد العاملة رابعا . وقد توفرت هذه العوامل جميعا لدى البريطانيين .

فبلادهم غنية بالحديد ومنه تصنع الآلات ، وهي كذلك غنية بالفحم والكهرباء وهما تسير الآلات . أما المواد الخام والأيدي العاملة فهي موفورة ميسورة

ويجدر بي أن أذكر أن الحديد دائما ينتقل إلى مناطق الفحم ومن ثم تركزت الصناعة حول مناطق الفحم ، ذلك أن الآلات تستهلك الفحم دائما ، ومن ثم فلتوفير نفقات نقله تركزت الصناعة في مناطق تعدينه ومنذ أكثر من نصف قرن استخدمت الكهرباء في إدارة المصانع والآلات فاستغنت بريطانيا مساقط المياه بها في توليدها ، وبالتالي في إدارة آلات مصانعها بها. أما عن المواد الخام فإنها موفورة ميسورة لبريطانيا ، ذلك أن بريطانيا تملك كما رأينا أكثر من ثلث اليابس في الكرة الأرضية ولها بهذا أراضي شاسعة في مختلف أنحاء العالم ، وهذه الممتلكات تمتاز بكثرة إنتاجها المواد الخام للصناعة ، فمثلا تستورد القطن من الهند ومصر والسودان وكينيا وغيرها ؛ والصوف من أستراليا ، والمطاط من المناطق الاستوائية بأفريقيا ومن جزر الهند الشرقية الخ

ومما يساعد بريطانيا سهولة اتصالها بمختلف أنحاء العالم ، فلها أطول تجارى كبير هو أكبر أساطيل العالم طرا ، بل أكثر من هذا أن بريطانيا قد عنيت تمام العناية بالمواصلات في داخلها ، فاستغلت أنهارها وقنواتها للملاحة ، وعبدت الطرق الزراعية ، ومدت السكك الحديدية مما جعل المواصلات بها سهلة ميسورة مريحة : مائية وبرية وجوية

هذه العوامل مجتمعة هي التي أدت إلى قيام الصناعة في بريطانيا ، وأنا أحب أن أضرب للقارئ مثلا يبين فوائد الصناعة من الجهة المادية : فقنطار القطن يباع في مصر بعشرين جنيها ثم ينتقل إلى إنجلترا حيث ينزل وينسج ويرد ثانية إلى مصر ليباع بها ، ووزن القنطار مائة رطل ، ووزن المتر من النسيج أوقيتان تقريبا ، فيكون وزن الرطل يعادل خمسة أمتار تقريبا ، وإذا افترضنا المتر ثمنا ٢٠ قرشا يكون ثمن الرطل من النسيج مائة قرش ويكون ثمن القنطار مائة جنيه ، وبذا يكون الربح في قنطار واحد ثمانين جنيها

وتمتاز الصناعة في بريطانيا بتخصص كل منطقة صناعية في صناعات معينة : فتقوم صناعة القطن في منطقة لنكشير وأعظم مراكز غزله ونسجه مدينة مانشستر ، وأكبر موانئ تصديره ليفربول . وتقوم صناعة الصوف في يوركشير وأعظم مراكز غزله ونسجه مدينة ليدز . وتقوم صناعة الأسلحة والآلات الفاطمة في وسط إنجلترا وأهم مراكزها شفلد وبرمنجهام . أما صناعة بناء السفن فأهم مراكزها جلاسجو ونيوكاسل وبورتسموث وبليموث وبلفاست

وأما لندن فهي عاصمة بريطانيا العظمى والإمبراطورية البريطانية . وقديما كان الرومان يقولون « كل الطرق تؤدي إلى روما » لأنها كانت العاصمة للامبراطورية الرومانية ، وفي العصور الوسطى كانت بغداد أكبر مدن العالم لأنها كانت عاصمة الإمبراطورية الإسلامية ، وأما في عصرنا الحاضر فإن لندن هي أكبر مدن العالم ، ونظرة واحدة إلى خريطة تبين الخطوط الملاحية للأساطيل التجارية تريك أنها جميعا تتجه إلى لندن ! !

وأخيرا :

إن بريطانيا تتحكم في العالم بقوة إنتاجها الصناعي . ومن المفارقات أن مصر قد عقدت معها معاهدة ١٩٣١ ، وفي هذه المعاهدة تعهدت بريطانيا بإمداد مصر بما يحتاج إليه جيشها من أسلحة وذخائر . ولكن كلما طلبت مصر من بريطانيا أن تفي بوعدها راوغت ، وثار نوابها في مجلس العموم لأنهم يزعمون أن مصر قد تستخدم هذه الأسلحة ضد بريطانيا ذاتها . وها نحن أولاء في مركز لا نحسد عليه فقد قيدتنا بريطانيا بالمعاهدة ثم تركتنا لا نستطيع حراكا ، بل إنها أثناء حرب فلسطين ١٩٤٩ منعت عنا السلاح مما كان له أسوأ الأثر ، وما أصدق قول شاعر النيل حافظ بك إبراهيم :

لا تقرب التأميز واحذر وردها ... بها بدا لك أنه معسول

أبو الفتوح عطيفة
مدرس أول العلوم الاجتماعية
بسنود الثانوية

١ — من أدباء الحجاز

عبد العزيز الزمزمي

٩٠٠ — ٩٧٦ هـ

للأستاذ عبد الله عبد الجبار

إن كنت ؛ أيها القارئ الكريم — من أهل مكة المكرمة ، أو لم تكن من أهلها وقد أتيح لك أن تستمتع بتلك اللحظة الروحية ؛ لحظة الغروب بالمسجد الحرام وقد أخذت مكانك خلف بئر زمزم انتظارا لأداء فريضة المغرب ، فلا ريب أنك قد شهدت في (منظرة) مقام الشافعي رجلا مرتديا جبة بيضاء أو سوداء أو بين هذين من الألوان قد لاث عمامته على رأسه في رفق ، وأخرج من جيبه ساعته العتيقة مدلاة من شريط أسود ثم نظر فيها ثم رفع رأسه إلى أعلى قليلا ، بعد أن وضع يده اليمنى على خده وصدغه ، وإبهامه على صماخ أذنه ، ثم ارتفع صوته بالأذان صوب السماء بتلك النغمة التقليدية: الله أكبر الله أكبر — وهو يميل لفظ الجلالة إمالة طويلة ويخطف لفظ أكبر خطفة سريعة : يكررها هكذا أربع مرات، ولا يكاد صوته ينطلق حتى تتجاوب المآذن بنداء السماء ، وحتى تنطلق أفواه المصلين وقلوبهم وأرواحهم بترجيع النداء

هذا الرجل — أيها القارئ الكريم — هو أحد أفراد أسرة (الريس) التي اختصت بأن يكون لها شرف (رئاسة المؤذنين) في المسجد الحرام . ومن هنا كانت تسميتها (بالريس) بعد أن كانت تسمى في التاريخ بأسرة (الزمزمي) نسبة إلى بئر زمزم

وعن شخصية من شخصيات هذه الأسرة سيكون بحثنا هذا ، فتعال معي إذن نعبر جسر الزمن لنطل على تاريخ هذه الأسرة بمكة في القرن الثامن الهجري :

هذه الأسرة تنتمي إلى علي بن محمد بن داود البيضاوي الشيرازي الأصل : وقد قدم علي بن محمد هذا إلى مكة في سنة ثلاثين وسبعمائة هجرية عام قدمها الفيل من العراق فباشر عن الشيخ سالم بن ياقوت المؤذن في خدمة بئر زمزم . ولما آنس فيه الرشد والخير والكفاية آثره بخدمة هذه البئر متنازلا له عنها ، وزوجه بابنته فولد له منها ولده أحمد وغيره من إخوته ، وأصبح في عقبه أمر البئر ومعها سقاية العباس رضي الله عنه . بعد ذلك تعال معي نتحدر مع الزمن لنشرف على القرن التاسع الهجري وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة حيث نشهد ميلاد عبد العزيز الزمزمي وهو موضوع هذا البحث ؛ ففي سنة تسعمائة هجرية كان ميلاد هذا العالم الأديب بمكة ، وكانت بواكير طفولته في بواكير القرن العاشر الهجري ، وغير حياته الطويلة الحافلة بالتدريس والإفتاء والصلاح والتقوى والرحلات المختلفة إلى مصر والشام والمدينة واليمن وبلاد الروم حتى وافاه الأجل المحتوم وهو في السادسة والسبعين من عمره ، وتوفي بأم القرى . ويمضي نسبه على النحو الآتي :

عبد العزيز عز الدين بن علي بن عبد العزيز بن عبد السلام ابن موسى بن أبي بكر بن أكبر بن أحمد بن علي بن محمد بن داود البيضاوي

ثقافته وكتبه : وقد أخذ العلم عن كبار المحققين وجد واجتهد حتى ذاع صيته وبز أقرانه ، وأفاد كثيرا من العلم والتجارب من أسفاره المتعددة ، وكان شافعي المذهب ، وقد ارتحل إلى مصر في ريعان شبابه يطلب العلم على أيدي علمائها الأجلاء — ومن مشايخه أحمد بن موسى بن عبد الغفار المالكي الذي مدحه بقصيدة مطلعها :

أريج مسك الأسحار فاح خلال الأزهار

وقد تفتقت عقلية الزمزمي حسب إمكانيات عصره وكما سمحت له ظروف حياته عن مؤلفات شعرية ونثرية منها

١ — الفتح المبين في مدح شفيع المذنبين

٢ — فيض الوجود في شيبتي هود

٣ — شرح على مقامات الحريري

٤ — (نظم علم التفسير) وهو منظومة لطيفة كان الطلاب ولا يزالون يحفظونها بمدرسة الفلاح بمكة ، ولها شرح للشيخ منصور سبط الطبلاوي سماه : (منهج التيسير إلى علم التفسير)

وللسيد محسن بن السيد علي الساوي المكي شرح لها سماه (نهج التيسير على نظم أصول التفسير) طبع في سنة ١٣٥٢) وللسيد علوي مالكي العالم المكي المشهور في العصر الحاضر حاشية على الشرح المذكور سماها (فيض القدير) وللشيخ يحيى أمان العالم المدقق والأصولي البارع بمكة شرح سماه (التيسير على منظومة علم التفسير) . وما زال الزمزمي يترقى في مناصب العلم حتى أصبح عميدا لعلماء مكة في ذلك الزمان . وقد ذكر القطبي في تاريخه المرتب على السنين : « أنه في السادس عشر من المحرم سنة ٩٧٦ قد وجه إلى الشيخ عبد العزيز الزمزمي تدريس المدرسة السليمانية بخمسين عثمانيا ، وكان رئيس علماء مكة يومئذ . » وقد مدحه منوها بعلمه أبو الفيض الصديقي من قصيدة جاء فيها :

أجل جيران بيت الله قاطبة علما إذا وصفوا في مكة العلما

شعره : وللزمزمي ديوان شعر منه نسخة خطية بالكتبية التيمورية ، وقد كلفت من نسخها لي . وتقع نسخته في ست وسبعين ومائة صفحة من الحجم المتوسط . ويشتمل هذا الديوان على ثلاثة أبواب وخاتمة

الباب الأول : (النبويات) وهي القصائد التي مدح بها النبي (ص) وقد رتبها حسب الحروف الهجائية ونظم مدائحه النبوية من أغلب حروف المعجم ، وترك الحروف الآتية : الثاء . والخاء . والذال . والشين . والصاد . والضاد . والطاء . والظاء . والعين . والغين . والواو : وقد استغرقت النبويات (١٠١) صفحة من نسختي . وربما أدخل في هذا الباب قصائد ليست منه كقصيدته في مدح ابن عباس ؛ وقصيدته حين زار مدينة عدن :

وقد عارض الهمزية والبردة وجعل قافية الأخيرة مفتوحة ، ويمضي مطلعها على هذا النحو :

أمن تذكر جرم جرمه عظما أرقت في الخد دمعا أم هرقت دما
أم البكاء لما أهملت جانبه من طاعة قد بكت أرض لها وسما
فوت خطة وشد كنت مدركها قصرت تقرع سنا بعدها ندما

الباب الثاني : مدح العلماء والصالحين وممن مدحهم الإمام الشافعي والشيخ ابن عربي ومحمد بن عراق

الباب الثالث : في ذكر الكعبة المشرفة ومكة والحرم والحجاز والمشاعر المنيفة ، ويبدأ في نسختي من ص (١٦٥) ولا نجد في هذا الباب إلا قصيدة واحدة طويلة نسبيا ذكر فيها المنازل من عما إلى زبيد إلى مكة ، وذكر فيها الكعبة المشرفة ، وقد نظمها في سيره من اليمن مع ركب الحج اليماني :

الخاتمة : وفيها نظم خمسة أحاديث نبوية وإليك مثالا منها :

وصالك جنتي ونعيم جسمي وقربك صحتي وجفاك سقمي
علام هجرتني هجرا عنيفا بلينا زائدا من غير جرم
فلا وصل ولا مكذوب وعد ولا رؤياك في طيف ملم
لقد أفرطت في ظلمي فهلا حفظت حديث ظلم دون ظلم

وقيمة هذا الديوان الصوفية أكبر من قيمته الفنية ، وهذه النزعة الروحية كثيرا ما كانت سمة من السمات التي طبعت الحياة العقلية لكثير من المفكرين والمنتجين في هذه البلاد في كثير من العصور

ويخيل إلى أن الزمزمي كان مشدودا برباط وثيق إلى عالم ما وراء الحياة . ففي رحلاته الكثيرة المتعددة لا يكاد يهبط بلدا من البلدان حتى يكون من أول ما يقوم به زيارة هذا الضريح أو ذاك لالتماس البركة من هذا الولي أو ذاك ، ونظم ذلك كله شعرا صوفيا يرتاح له ضميره

وكان لا تلم به كارثة من الكوارث أو تحدق به أزمة من الأزمات حتى يشد رحاله إلى المسجد النبوي ينشد الفرجة من مقام النبوة العظيم

وربما كانت فرقته للحجاز على كره منه ، فهو يصرح بذلك في شعره ، ويشكو إلى الله حالته الكئيبة الحزينة ، وبعده عن عياله وأوطانه وعن المشاعر المقدسة ومعاهد الطهر والإيمان ، ويستعرض أمام عينيه أيامه التي سلفت . فما أكثر ما ظل عاكفا بالمسجد الحرام يصلي حينا ويدرس حينا ويقرأ القرآن حينا ، وما أكثر ما وقف بعرفات ، فلقد حج أكثر من خمسين حجة فهل يتاح له الوقوف بها مرة أخرى ، وهل تتاح له بمنى ، المنى وهل يبصر نفسه بين أهله وذويه ، ورهطه وصحبه ، وقومه وإخوانه ؟ إنه يسجل كل ذلك في شعره إذ يقول :

إلى الله أشكو من تباريح أحزاني وبثي وبعدي عن عيالي وأوطاني
بحكم زمان ظالم جار واعتدى علي ومن قصدي عداني وعاداني
ترى هل ترى أم القرى عين نازح بجنبانه والقلب منه لها واني

أعد لى حديثا عن مشاعرها وعن ... معاهدها دامت معاهد إيمان
وعن حرم الله الأمين ومسجد ... حرام وبيت ضم أشرف أركان
فياطالما فى ظله ظلت عاكفا ... لتدريس علم أو صلاة وقرآن
ومن عرفات لست أنكر موقفا ... تعرفته من قبل إبان عرفان
وقفت به نيفا وخمسين حجة ... فكيف فى يجرى لذكر نسيان
ألا ليت شعرى بعد فرقة جمعنا ... بليلة جمع عائد عيشنا الهانى
وهل يمنى يوما تتاح لنا منى ... إليها جمار الشوق أضرم من نيرانى
وأبصر نفسى بين أهلى وأسرتى ... ورهطى وأصحابى وقومى وإخوانى

وللزمزمى قصيدة نظمها فى سيره من اليمن إلى الحجاز مع ركب الحج اليمنى ذكر فيها النازل من المخا إلى زبيد إلى مكة المكرمة . وقد بدأ نظمها (بدوقة) يوم الخميس ١٨ من ذى القعدة وأتمها بالليث يوم الأحد غرة ذى الحجة الحرام سنة ٩٥٨ هـ ، وهذه القصيدة تعتبر (خريطة شعرية) تبين لنا خط سير قاصد الحج من اليمن إلى مكة فى القرن العاشر الهجرى ، وفى مطلعها يقول :

ظمئنا فنودينا عن الشر غيتموا ... وجئنا فقال الخير جئتم وجيتمو
وما كان ذاك البعد إلا دجنة ... جلاها اقتراب صبحه متبسم
نعمنا به من بعد بؤس أصابنا ... فأذهب ذاك البؤس هذا التنعم
وأن الثوى فى أرض مكة جنة ... وكل دنو من سناها جهنم
فوالله ما فارقتها عن كراهة ... ولا لأمور جة تتوهم
ولكن مقادير بها حكم القضا ... وليس على حكم القضاء تحكم
رحلنا مطايانا إليها نؤمها ... فيا حبذا منها إليها التيمم

وبعد أن يذكر كيف مضت بهم المطايا من المخا إلى الزهارى وكيف أقاموا بزبيد ليالى ، وكيف راحت العيس وحاديها شوق ملح لقرية المنصور والتاعية يقول :

ومرت إلى (مور) ومنها تشاءمت ... إلى (قطبة) والأفق بالليل مظلم
ومذ قصدت (جازان) جاز اقتصارها ... فأضحت وحاديها عليها مخيم

وبعد أن يذكر عالية وأبا عريش التى كان مقامهم بها ثلاثة أيام يقول :

ومنها إلى صبيا بنا العزم قد صبا ... وكان لنا فى (بيش) شأن ملمم

وبعد أن يذكر وادى بيش وعتود يشجل كيف بدت لهم فى الشقيق وجوه توسموا فيها عصيان السلاطين :

ولما دخلنا فى (الشقيق) بدت لنا ... وجوه بعصيان السلاطين توسم
ومنها انصرفنا للغدير الذى على ... (عريب) بواديه الزيالع أقدموا
ومنه مسير الركب نحو مغيزل ... تعادى به والعيس للورد حوم
فرت إلى (ذهبان) ذاهبة وقد ... حلا عندها الماء الذى منه ينجم

وبعد أن يمضى قليلا يأسى للعيس كيف كانت تئن من العجز وكيف دقت بكلكلها الثرى فى (دوقة) وكيف أثابت بعد أن أقامت بها يومين ، وكيف جازت مسيل الواديين ولم تقف به والليل أسود حالك ؛ وإنما مضت فى سراها سواد الليل وطرفا من النهار. حتى إذا اعتلت الشمس صاروا إلى (ذكوان) وكان لهم فيه مقيل غير محمود ؛ فقد بلغ الإعياء بهم مبلغا عظيما . وكانت الشقة بعيدة ، وكان الماء علقما والتمسوا (المجور) فلم يجدوه . . ثم ساروا حتى إذا وصلوا (الليث) لم يطيلوا المكث به ، بل راحوا (للهضب) حتى إذا صاحت حداة الركب : (هذى يلملم) ألمت بهم الأفراح واهتزت نفوسهم طربا وأناخوا ركابهم ونزلوا واغتسلوا وصلوا ولبوا وأحرموا وكان للركب ضجيج ، وكانت عيونهم تذرى الدمع فرحا ، ولم يمكثوا هناك إلا بمقدار ما أدوا به شعار النسك ، واستهلوا بلبيك اللهم لبيك ، ومن ثم يمموا نحو البيت الحرام وهم يجهشون بالبكاء :

وفى (دوقة) دقت بكلكلها الثرى ... وقامت على عجز تئن وترزم
ولكنها من بعد يومى إقامة ... أثابت فسارت وهى للركب تقدم
وجازت مسيل الواديين ولم تقف ... به والدجى بين المسيلين مقتم
وصارت إلى (ذكوان) حين ذكا اعتلت ... وكان لها فيه مقيل مذمم
هزال وإعياء إلى بعد شقة ... وقد عدم المجور والماء علقم
وما طولت مذ جاءت (الليث) لبثها ... (وللهضب) راحت والحداة تترجم
ألمت بنا الأفراح لما تباشرت ... وصاحت حداة الركب هذى (يلملم)
أنيخوا المطايا وانزلوا وتغسلوا ... وصلوا ولبوا خاضعين وأحرموا
فكم ضجة للركب ثم وجولة ... وكم مقلة تذرى الدموع وتسجم

القوة المادية والإيمان بالمثل العليا

للدكتور محمد يوسف الهندى

لئن سجل تاريخ القرن الماضى انقضاضا من الأمم الغربية المتفوقة فى العدة على الشعوب الشرقية الكثيرة العدد؛ فقد شاهد الجيل الحاضر تنافسا بين الدول الغربية — تنافسا قد أدى إلى صراعين طاحنين. وها هو ذا شبح الحرب الثالثة يلوح فى الأفق، ويقض مضاجع الإنسانية جمعاء، لا فرق فى ذلك بين الذين « لم يريقوا ملء محجم » وبين الذين « دقوا بينهم عطر منشم »

وفى أعقاب الحرب العالمية الأولى اتجهت نية الأقوياء المنتصرين إلى إنشاء نظام يكفل للعالم السلام والهدوء على ما قالوا، ولكن هذا النظام لم يكن فى الواقع يكفل شيئا غير الأوضاع القائمة إذ ذاك لصالح الذين كانوا يرون من حقهم احتكار السيادة على العالم، ولذلك انهار ذلك النظام على أيدى من رأى أن ينازعهم هذا الحق بالقوة (وقد أعيدت التجربة نفسها مع إدخال بعض التحسينات بعد الحرب الأخيرة)

وقد صادف هذا الاتجاه — أعنى اتجاه الأقوياء إلى إبعاد إمكان الحرب فيما بينهم — نضج الوعى القومى فى الشعوب الآسيوية والأفريقية المستعمرة، فبدأ مفكروها وقادتها يبحثون عن الوسائل التى يمكن بها لتلك الشعوب التخلص من نير الاستعمار واسترداد السيادة لأنفسهم على بلادهم، وقد واجه جميعهم مشكلة قهر القوة الغاشمة لتحقيق الحق الأعزل، وإنها لدراسة ممتعة جدا أن يعقد الواحد مقارنة بين الأجوبة التى أتى بها زعماء الشرق الحديث فى الأقطار المختلفة على هذا السؤال، وخلاصة القول أن عددا غير قليل من الذين كانت زعامتهم ترتكز على مقدرتهم لاستثارة الجمهور فقط تجنبوا رسم خطة محدودة فى هذا الصدد؛ بل إنما استعروا بخطب بلاغية وتصريحات جدلية هى عبارة عن التمسك بالحق والمطالبة والتهديد بالإضرار ببعض مصالح المستعمر هنا وهناك. أما الذين سمت فكرهم إلى درجة الفلسفة وتنظيم خطة عامة بعيدة المدى فانقسموا قسمين: بعضهم انتهج نهج الاستهانة بقوة السلاح وتعيير القوى باستعمال القوة والعنف، حينما ذهب البعض الآخر إلى مقاومة القوة بالقوة آملين بأن كثرة العدد ربما تفوق وفرة العدة. وقد جرب كثير من الشعوب الشرقية الخطة الأخيرة ولا سيما فى بداية عهد الاستعمار فرأت عواقبها وخيمة، ولذلك أقبلت على الخطة الأولى فدرستها بإعجاب وإن لم تقبلها كمبدإ للحياة القومية

ولنستعرض الآن آراء إقبال، الفيلسوف الشاعر الذى احتفل منذ قريب بالذكرى الثالثة عشرة لوفاته، فى المسائل التى قدمناها آنفاً. لايفوت إقبالا أبدا أن يحذر من الاستخفاف بالقوة أو إهمال أية وسيلة من وسائل الحصول عليها، فهو لا يتأثر مطلقاً مما يوجهه بعض الناس إلى الإسلام من نقد بناء على روح الجهاد فيه. بل يقول:

« إن الذى يرتجف العالم من بطشه وسفكه هو أولى بأن يلقن مبدأ ترك الجهاد . . . لقد تدججت أوربا بالسلاح للدفاع عن أبهة الباطل . . . إذا كانت الحرب شرا فى الشرق فهى لا بد وأن تكون شرا فى الغرب أيضاً . . . أما محاسبة الإسلام والصفح عن أوربا فذلك ليس من الحق فى شىء »

وكذلك يسخر إقبال من خطة تعيير القوة بالقوة حينما يقص علينا قصة بطيخ من الغنم وقع فيه الأسد؛ فتقدمت شاة كانت قد أوتيت دهاء لتزعم القطيع، فاقتنعت فى نفسها بأنه من المستحيل أن تتحول الأغنام أسودا إلا أنه يمكن أن ينحط الأسد إلى درجة الأغنام، وذلك بحمله على الاستحياء من نفسه وقوته، فبدأت تلك

وما مكثوا إلا بقدار ما أتوا ... به من شمار النسك ثم أحرموا
بلبيك لبيك استهلوا وأجهشوا ... ومن ثم للبيت الحرام تيمموا

ثم بدت لهم معالم مكة:

وصرح بالأمر الحداة وبشروا ... وغنوعمو هذا المقام وزمزم
وذابيت رب العرش ما دونه سوى ... ستور عليه بالجلالة ترقم
فألفت عصاها واستقر بها النوى ... وقر عيونا باللقاء المتيم

قبحت بقية

عبد الله عبد الجبار
مدير البعثة السودية بمصر

القوة المادية والإيمان بالمثل العليا

للدكتور محمد يوسف الهندى

لئن سجل تاريخ القرن الماضى انقضاضا من الأمم الغربية المتفوقة فى العدة على الشعوب الشرقية الكثيرة العدد؛ فقد شاهد الجيل الحاضر تنافسا بين الدول الغربية — تنافسا قد أدى إلى صراعين طاحنين. وها هو ذا شبح الحرب الثالثة يلوح فى الأفق، ويقض مضاجع الإنسانية جمعاء، لا فرق فى ذلك بين الذين « لم يريقوا ملء محجم » وبين الذين « دقوا بينهم عطر منشم »

وفى أعقاب الحرب العالمية الأولى اتجهت نية الأقوياء المنتصرين إلى إنشاء نظام يكفل للعالم السلام والهدوء على ما قالوا، ولكن هذا النظام لم يكن فى الواقع يكفل شيئا غير الأوضاع القائمة إذ ذاك لصالح الذين كانوا يرون من حقهم احتكار السيادة على العالم، ولذلك انهار ذلك النظام على أيدى من رأى أن ينازعهم هذا الحق بالقوة (وقد أعيدت التجربة نفسها مع إدخال بعض التحسينات بعد الحرب الأخيرة)

وقد صادف هذا الاتجاه — أعنى اتجاه الأقوياء إلى إبعاد إمكان الحرب فيما بينهم — نضج الوعى القومى فى الشعوب الآسيوية والأفريقية المستعمرة، فبدأ مفكروها وقادتها يبحثون عن الوسائل التى يمكن بها لتلك الشعوب التخلص من نير الاستعمار واسترداد السيادة لأنفسهم على بلادهم، وقد واجه جميعهم مشكلة قهر القوة الغاشمة لتحقيق الحق الأعزل، وإنها لدراسة ممتعة جدا أن يعقد الواحد مقارنة بين الأجوبة التى أتى بها زعماء الشرق الحديث فى الأقطار المختلفة على هذا السؤال، وخلاصة القول أن عددا غير قليل من الذين كانت زعامتهم ترتكز على مقدرتهم لاستثارة الجمهور فقط تجنبوا رسم خطة محدودة فى هذا الصدد؛ بل إنما استعروا بخطب بلاغية وتصريحات جدلية هى عبارة عن التمسك بالحق والمطالبة والتهديد بالإضرار ببعض مصالح المستعمر هنا وهناك. أما الذين سمت فكرهم إلى درجة الفلسفة وتنظيم خطة عامة بعيدة المدى فانقسموا قسمين: بعضهم انتهج نهج الاستهانة بقوة السلاح وتعيير القوى باستعمال القوة والعنف، حينما ذهب البعض الآخر إلى مقاومة القوة بالقوة آملين بأن كثرة العدد ربما تفوق وفرة العدة. وقد جرب كثير من الشعوب الشرقية الخطة الأخيرة ولا سيما فى بداية عهد الاستعمار فرأت عواقبها وخيمة، ولذلك أقبلت على الخطة الأولى فدرستها بإعجاب وإن لم تقبلها كمبدإ للحياة القومية

ولنستعرض الآن آراء إقبال، الفيلسوف الشاعر الذى احتفل منذ قريب بالذكرى الثالثة عشرة لوفاته، فى المسائل التى قدمناها آنفاً. لايفوت إقبالا أبدا أن يحذر من الاستخفاف بالقوة أو إهمال أية وسيلة من وسائل الحصول عليها، فهو لا يتأثر مطلقاً مما يوجهه بعض الناس إلى الإسلام من نقد بناء على روح الجهاد فيه. بل يقول:

« إن الذى يرتجف العالم من بطشه وسفكه هو أولى بأن يلقن مبدأ ترك الجهاد . . . لقد تدججت أوربا بالسلاح للدفاع عن أبهة الباطل . . . إذا كانت الحرب شرا فى الشرق فهى لا بد وأن تكون شرا فى الغرب أيضاً . . . أما محاسبة الإسلام والصفح عن أوربا فذلك ليس من الحق فى شىء »

وكذلك يسخر إقبال من خطة تعيير القوة بالقوة حينما يقص علينا قصة بطيخ من الغنم وقع فيه الأسد؛ فتقدمت شاة كانت قد أوتيت دهاء لتزعم القطيع، فاقتنعت فى نفسها بأنه من المستحيل أن تتحول الأغنام أسودا إلا أنه يمكن أن ينحط الأسد إلى درجة الأغنام، وذلك بحمله على الاستحياء من نفسه وقوته، فبدأت تلك

وما مكثوا إلا بقدار ما أتوا ... به من شمار النسك ثم أحرموا
بلبيك لبيك استهلوا وأجهشوا ... ومن ثم للبيت الحرام تيمموا

ثم بدت لهم معالم مكة:

وصرح بالأمر الحداة وبشروا ... وغنوعمو هذا المقام وزمزم
وذابيت رب العرش ما دونه سوى ... ستور عليه بالجلالة ترقم
فألفت عصاها واستقر بها النوى ... وقر عيونا باللقاء المتيم

قبحت بقية

عبد الله عبد الجبار
مدير البعثة السودية بمصر

الشاة تلقن الأسد مبدأ الاعتزاز بقوة الروح وترك اللحوم وأكل العشب والإيمان بأن الجنة قد خصصت للضعفاء، وأن القوة في الحقيقة نقصان. وهكذا إلى أن وجد الأسد في هذه الواعظ انعكاساً لميله هو إلى الراحة والدعة، فانحط إلى درجة الأغنام وهو يحسب أن ذلك الانحطاط إن هو إلا مدنية وحضارة!

فهذه الخطة في رأي إقبال ليست إلا رياء ودهاء - الدهاء الذي «يزداد وينمو بطبيعة الحال في العبودية والاضطهاد» — ولا يستعمل هذه الخطة إلا الضعيف الذي يئس من كسب القوة؛ وهو إنما يغرر ويضلل بها قوياً قد مال إلى الاستكانة

ولكن دعوة إقبال لا تقتصر على «إعداد القوة» — ولا أقول «تمجيد القوة» كما فعل بعض الفلاسفة الألمان — بل، وهذه هي النقطة المهمة، هو يدعو أيضاً إلى البحث عن القيم الأخلاقية والمثل العليا في الحياة الإنسانية والإيمان بها والعمل لها، حتى لا يكون استعمال القوة إلا لحفظ ونشر تلك القيم والمثل التي تكفل الخير للعالم! أما إذا وجدت القوة منفصلة عن القيم الأخلاقية والمثل العليا فلا شك أنها تعود شراً لا شر بعده كما يتمثل ذلك الشر في أعمال الإسكندر وجنكيز. إذن فالقوة في حد ذاتها ليست شراً ولا خيراً، بل إنما يحكم عليها بهذا أو بذاك بالنسبة إلى وجود الغايات النبيلة أو انعدامها فيمن يملكها. ومن الضروري في هذا المقام أن نوضح أن إقبالاً لا يدعو إلى الثورة أو الثورة المرتجلة التي لا تتعدى الإضراب عن العمل وتحطيم عربات الترام وما إلى ذلك من أعمال الهدم والتخريب، لا؛ بل هو يدعو إلى إعداد القوة بالطرق العلمية والفنية — «بالتسلط على قوى الفطرة» بعبارته هو — أي بنفس الطرق التي هي الميزة الكبرى للحياة الغربية والتي هي أوثق صلة بنبوغ الغربيين من الزي الغربي والحروف اللاطينية واستباحة الرقص والخمر. ولا يخفى أن هذا الطريق الذي يدعو إليه إقبال إنما هو طريق شاق طويل يحتاج إلى التأني والصبر والجلد، ولذلك تراه ينبري في أشد الأوقات حرجاً فلا يبالي بأن يتهمه أحد بمعالأة المستعمر وينصح مواطنيه «بإبقاء الطرب على فم الدن حتى يدرك الخمر النضج» أي بالتريث ومواصلة العمل إلى أن يستكملوا العدة. وخلاصة القول أنه كان يدعو إلى إعداد القوة التي تكفل الإنشاء والتعمير وخلق الأوضاع الجديدة، لا إلى مظاهرة قوة التخريب وإلحاق بعض المتاعب بالمستعمر التي هي بمثابة ما تلجأ إليه المرأة الناشز من زوجها في بعض الأحيان ليس إلا

ولا يصعب أن نستنتج مما سبق نظرة إقبال إلى المحاولات التي بذلت ولا تزال تبذل لتنظيم الأمن الدولي، فهو الذي قال عن عصبة الأمم البائدة إنها «منظمة أقامها بعض لصوص الأكفان لتقسيم القبور فيما بينهم» وقال عنها أيضاً إنها «حظية الأفرنج العجوز تعتمد على تمائم إبليس لبقائها لبعض الوقت» — ونظرة إقبال هذه مبنية على أنه لا يرتاح أبداً إلى القوة، سواء أكانت تلك القوة قائمة على السيف والرمح أم القنبلة الذرية، في يد من ليس عنده رادع من الإيمان بالقيم الأخلاقية والمثل العليا. وهو أيضاً يرى أن لا خير يرجى للإنسانية من أية محاولة للتحديد والإشراف على وسائل القوة؛ لأن الذي يضمر الخبث يمكر صفو الأمن ولو بدون أي سلاح، بل الخير كل الخير في أن تجتمع القوة المادية والإيمان بالمثل العليا في أمة أو أمم من العالم حتى تزجر القوة من تلقاء نفسها عن التمادي في الطغيان، وفي الوقت نفسه تكون تلك القوة ضماناً للنشر وتقوية المثل العليا في العالم، وحفظها من أن تنتهك على يد أي طاغية أثيم

ثم يعبر إقبال عن رأيه الذي وصل إليه لا عن طريق التعصب للعقيدة التي ورثها عن أبيه؛ بل عن طريق البحث العلمي والفكر الفلسفي، من أن الأمة الإسلامية هي التي تمتاز من بين جميع الأمم بالقيم الأخلاقية والمثل العليا التي تجعلها جديرة بأن تزعم قضية الأمن والسلام في العالم. إلا أنها في الوقت الحاضر تفتقر إلى القوة وذلك نتيجة لإهمالها الوسائل العلمية والفنية التي توجد القوة. وكم يتمنى إقبال لو اجتمع للأمة الإسلامية، إلى جانب المثل العليا، القوة التي تسندها وتؤازرها حتى تتمكن هذه الأمة من أن تلعب دوراً فعالاً لرخاء الإنسانية ورفاهيتها. وكثيراً ما يردد إقبال وقعة إسلام التتار، فإن التتار، قبل أن يسلموا، كانوا يمثلون القوة المحضة، أما المسلمون فقد ظلوا إبان انهزامهم حفظة للقيم الأخلاقية العزلاء من القوة حتى أسلم التتار، فكان ذلك بمثابة قران سعيد بين القوة والمثل العليا، كأن الإسلام استبدل سيفاً جديداً صارماً بسيف مفلول، وهكذا إذا تمرت عظمته بضمة

هاجرة السودان الوطنية

أم درمان

للأستاذ على العمارى

لعل الشرقيين أزهد الشعوب فى معرفة بلادهم ، فالحديث عنها ليس بالمذب المستساغ عند أكثرهم ، وربما بقى الواحد من مثقفيهم الدهر الطويل فى مدينة من المدن دون أن يعرف كثيرا

قرون أخرى

ولكن على الأمة الإسلامية واجبا آخر وهو التعمق فى دراسة المبادئ الإسلامية و التشبث بها والإخلاص لها ريثما تتقدم بخطى ثابتة لاستكمال القوة، وذلك لأن الضعيف ربما يفقد الثقة فى نفسه وفى مبادئه. وهل من شك فى أن الأمة الإسلامية إن هى تخلت عن مبادئها لحصولها على القوة سوف لا يكون ذا مغزى كبير . ولعل من مظاهر هذا التخلى عن المبادئ السامية تخاذل الشعوب الإسلامية لأعراض تافهة خسيسة ، واعتبارات دبلوماسية مغرضة . ألا فلتسترد هذه الأمة الثقة بنفسها والإيمان بمبادئها حتى تثبت جدارتها لمزاولة القوة فى سبيل خير الإنسانية

وأخيرا تتلخص مأساة « إنسان العصر الحاضر » عند إقبال فى قوله :

العشق يقصه والعقل ينهشه
لا يستطيع قياد العقل بالنظر
دور الكواكب لا يخفى على درك
لا يستطيع هدى فى عالم الفكر

العشق هو الإيمان بالمبادئ العليا . والعقل هو التقدم فى العلوم والفنون . والنظر هو الشعور بالمسئولية أمام الله

محمد يوسف

أو قليلا عن تاريخها ومعالمها . وقد يقرأ فى كل كتاب إلا الكتاب الذى يتحدث عن البلدان وتاريخها ، وعما فيها من آثار قديمة أو منشآت حديثة . ولا أنس أبدا أنى كنت مسافرا مرة فى القطار الذى يبرح القاهرة إلى أسوان ، وكان بجانبى رجل فى نحو الخامسة والثلاثين من عمره ، ويبدو من هيئة حديثه أنه من ذوى الثراء ، وتشعب بنا الحديث فنونا حتى وصل القطار إلى مدينة المنيا عروس الصعيد ، فأطل الرجل من النافذة ثم عاد وفى وجهه آثار الدهشة والاستغراب وقال بلهجة المأخوذ : غريبة ! إن فى هذا البلد شوارع منظمة وأبنية جميلة ؟ قلت له : أمصرى أنت ؟ قال : نعم . قلت أين تعيش ؟ قال : فى الإسكندرية ، قلت : أظنك تعرف روما وباريس ولندن معرفة دقيقة . قال نعم ، قلت : أما سافرت أبدا إلى الصعيد ؟ قال : لا ، والفكرة التى فى ذهنى عنها تختلف كل الاختلاف عما أراه الآن . قلت : ماهذا ، لست مصريا وإن كان اسمك رمسيس الأول !!

كما لا أنس أنى لقيت رجلا مثقفا قضى فى مدينة أم درمان أكثر من أربع سنوات ، وهو يسكن فى الجانب الغربى منها جد قريب من دار المعهد العلمى ، وقد جرى مرة بيننا حديث فى شؤون المعهد فسألنى أين تقع دار هذا المعهد ؟

وفى يقينى أن هذا الجهل يرجع إلى ضعف الشعور القومى فى النفوس ، فإنه كلما قوى هذا الشعور أحس صاحبه أن كل شبر من أرض الوطن إنما هو ملكه ، حتم عليه أن يعرفه ، وأن يعرف تاريخه ، وطبعى أنى لا أقصد أن كل المثقفين يجهلون معالم أوطانهم ، وإنما أعنى أن الجمهرة الغالبة لا تعنى بهذه الناحية العناية الواجبة ، وقد حملنى على كتابة هذا المقال ما لمسته فى كثير من المتعلمين عندنا من جهل بشؤون المدن السودانية ،

* * *

ينساب النيل الأبيض منحدرا من المنطقة الاستوائية ، ويجرى النيل الأزرق هابطا من مرتفعات الحبشة ، ويمران بمدينة الخرطوم ، أحدهما على جانبها الغربى ، والآخر على جانبها الشرقى ، وما يكادان يصلان إلى نهايتها الغربية البحرية حتى يلتقيا ، ثم يسيران متماسكين مسافة قصيرة ، ويستطيع النظر

هاجرة السودان الوطنية

أم درمان

للأستاذ على العمارى

لعل الشرقيين أزهد الشعوب فى معرفة بلادهم ، فالحديث عنها ليس بالمذب المستساغ عند أكثرهم ، وربما بقى الواحد من مثقفيهم الدهر الطويل فى مدينة من المدن دون أن يعرف كثيرا

قرون أخرى

ولكن على الأمة الإسلامية واجبا آخر وهو التعمق فى دراسة المبادئ الإسلامية و التشبث بها والإخلاص لها ريثما تتقدم بخطى ثابتة لاستكمال القوة، وذلك لأن الضعيف ربما يفقد الثقة فى نفسه وفى مبادئه. وهل من شك فى أن الأمة الإسلامية إن هى تخلت عن مبادئها لحصولها على القوة سوف لا يكون ذا مغزى كبير . ولعل من مظاهر هذا التخلى عن المبادئ السامية تخاذل الشعوب الإسلامية لأعراض تافهة خسيسة ، واعتبارات دبلوماسية مغرضة . ألا فلتسترد هذه الأمة الثقة بنفسها والإيمان بمبادئها حتى تثبت جدارتها لمزاولة القوة فى سبيل خير الإنسانية

وأخيرا تتلخص مأساة « إنسان العصر الحاضر » عند إقبال فى قوله :

العشق يقصه والعقل ينهشه
لا يستطيع قياد العقل بالنظر
دور الكواكب لا يخفى على درك
لا يستطيع هدى فى عالم الفكر

العشق هو الإيمان بالمبادئ العليا . والعقل هو التقدم فى العلوم والفنون . والنظر هو الشعور بالمسئولية أمام الله

محمد يوسف

أو قليلا عن تاريخها ومعالمها . وقد يقرأ فى كل كتاب إلا الكتاب الذى يتحدث عن البلدان وتاريخها ، وعما فيها من آثار قديمة أو منشآت حديثة . ولا أنس أبدا أنى كنت مسافرا مرة فى القطار الذى يبرح القاهرة إلى أسوان ، وكان بجانبى رجل فى نحو الخامسة والثلاثين من عمره ، ويبدو من هيئة حديثه أنه من ذوى الثراء ، وتشعب بنا الحديث فنونا حتى وصل القطار إلى مدينة المنيا عروس الصعيد ، فأطل الرجل من النافذة ثم عاد وفى وجهه آثار الدهشة والاستغراب وقال بلهجة المأخوذ : غريبة ! إن فى هذا البلد شوارع منظمة وأبنية جميلة ؟ قلت له : أمصرى أنت ؟ قال : نعم . قلت أين تعيش ؟ قال : فى الإسكندرية ، قلت : أظنك تعرف روما وباريس ولندن معرفة دقيقة . قال نعم ، قلت : أما سافرت أبدا إلى الصعيد ؟ قال : لا ، والفكرة التى فى ذهنى عنها تختلف كل الاختلاف عما أراه الآن . قلت : ماهذا ، لست مصريا وإن كان اسمك رمسيس الأول !!

كما لا أنس أنى لقيت رجلا مثقفا قضى فى مدينة أم درمان أكثر من أربع سنوات ، وهو يسكن فى الجانب الغربى منها جد قريب من دار المعهد العلمى ، وقد جرى مرة بيننا حديث فى شؤون المعهد فسألنى أين تقع دار هذا المعهد ؟

وفى يقينى أن هذا الجهل يرجع إلى ضعف الشعور القومى فى النفوس ، فإنه كلما قوى هذا الشعور أحس صاحبه أن كل شبر من أرض الوطن إنما هو ملكه ، حتم عليه أن يعرفه ، وأن يعرف تاريخه ، وطبعى أنى لا أقصد أن كل المثقفين يجهلون معالم أوطانهم ، وإنما أعنى أن الجمهرة الغالبة لا تعنى بهذه الناحية العناية الواجبة ، وقد حملنى على كتابة هذا المقال ما لمسته فى كثير من المتعلمين عندنا من جهل بشؤون المدن السودانية ،

* * *

ينساب النيل الأبيض منحدرا من المنطقة الاستوائية ، ويجرى النيل الأزرق هابطا من مرتفعات الحبشة ، ويمران بمدينة الخرطوم ، أحدهما على جانبها الغربى ، والآخر على جانبها الشرقى ، وما يكادان يصلان إلى نهايتها الغربية البحرية حتى يلتقيا ، ثم يسيران متماسكين مسافة قصيرة ، ويستطيع النظر

السطحي أن يميز بينهما حيث يفصلها خيط دقيق ، ولكن هذا التناكر لا يستمر طويلا فيختلطان ، ويسيران ممتزجين ، وتقع الخرطوم بينهما ، وتقع الخرطوم بحرى على جانب النيل الأزرق الشرقي ، أما أم درمان فتقع على الضفة الغربية للنيل الكبير . وقبيل التقاء النيلين تقوم جزائر جميلة تسمى جزائر « المقرن » وهي من أحسن الأمكنة وأطيبها هواء ، وفيها يقول الأستاذ العقاد :

تقسم حلمي بالجزيرة وقفتي بالمقرن
حلمان حظها خيالا دون حظ الأعين
ما دمت بينهما فما أنا سائل عن مسكني

ويعجبني قول أحد الكتاب السودانيين يصف التقاء النيلين عند المقرن ، إذ يقول : (هل استمتعت بذياك المرأى الطبيعي البديع الساحر ؟ مرأى ملتقى النيلين الحبيبين ، لقد أتى أحدهما ينساب من أقصى الجنوب ، والآخر ينحدر من أقصى الشرق ، فالتقيا منذ الأزل في هذا المكان ، بعد هاتيك الرحلة الطويلة ، فأصبح هذا المكان مكان التقائهما علما مقرونا باسميهما ، أنهما قد التقيا عند هذا المكان ، واقترنا في شوق ، بل تصافحا بجسميهما ، أنهما لم يفكرا في الفكاك من هذا الاقتران ولم يفكرا ولما التقينا قرب الشوق جهده حبيبين قاضا لوعة وعتابا
كأن حبيبا في خلال حبيبه تسرب أثناء العناق وغابا

ولشد ما أعجبني تمثل الكاتب بهذين البيتين في هذا الموضع

ويصل بين الخرطوم وأم درمان جسر جميل ، أقيم سنة ١٩٢٨ . أما مدينة أم درمان فهي مدينة كبيرة مبانيها فسيحة ، وشوارعها متسعة . وأول من عمر أم درمان الشمالية حكومة المهدية ، أما جنوبها فكان حلة صغيرة قائمة في سهل فسيح رملي لا شجر فيه ، وكان يسكن هذه الحلة الأهلون من (الفتيحاب) وهم سكان الخرطوم الأصليون كذلك ، وكانت لهم منازل متفرقة على شاطئ النيل الأبيض الغربي ، والفتيحاب من قبائل الجوعية ، وهم وإخوانهم من الجيعاب ، والسروراب ، والجعليين والميرغاب ، والرباطاب ، والشايقية ، ينتسبون إلى العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه . وقد استولى المهدي على أم درمان سنة ١٨٨٥ م ولما جاء الخليفة التعايشي حبب الى الناس السكنى فيها ، فبنيت الدور ، واتسع عمرانها . وكل منازلها طبقة واحدة إلا النادر القليل ، وفيها مبان كثيرة بالحجر على النظام الحديث ، وقد كان سكان المدينة قبل المهدية ٤٠٠ ألف نسمة ، ثم تناقص هذا العدد إلى ٢٥ ألف في سنة ١٩٠٣ ، أما عدد السكان - الآن حسب آخر إحصاء - فهو نحو ١٣٧ ألف نسمة

ويخترق أم درمان شارع طويل يسير فيه الترام يبتدئ من الجسر الفاصل بينها وبين الخرطوم ، وينتهي في الجانب الشرقي منها حيث يسير قليلا على النيل . أما غربها وشمالها فصحراء لا نبت فيها ولا ماء . ويقع جبل كرري المشهور في التاريخ شماليها ، والهابط منه إلى المدينة يأخذ في شارع يسمى بهذا الاسم أيضاً

وفي أم درمان مدارس حكومية وأهلية ، وسطى ، وثانوية ، وأولية ، فيها مدارس الأحفاد ، وهي مدارس ذات فضل لا ينكر على السودان ، والمدرسة الأهلية ، وفيها مدارس الراهبات للبنات وهي روضة وابتدائي وثانوي . وبهذه المناسبة أذكر أن السودانيين غير متحمسين كثيرا لتعليم البنت . وفي ظاهر أم درمان من الناحية الغربية يقوم بناء المعهد العلمي ، وهو معهد قام منذ أربعين سنة تقريباً ، وكانت الدراسة في مسجد أم درمان الكبير وانتقلت قريبا إلى هذه الدار الجديدة ، وفي المعهد الآن نظامان : نظام قديم ، ونظام جديد تشرف عليه الحكومة إشرافا كليا ، تضع له المناهج ، وتعين المدرسين ، والمعهد ابتدائي وثانوي وعالي ، ومنه يتخرج حاملو الشهادة العالية على نظام الأزهر القديم ، وهم يؤدون الآن مهمتهم في السودان بجدارة وإخلاص ، ويراد أن يكون في المعهد - بعد الثانوي - كليات ، على نظام كليات الأزهر ، ولا تزال المعاهد في الأقاليم ترتبط بهذا المعهد ارتباطا ما ، وفي هذا المعهد يقول الشاعر التيجاني يوسف بشير :

السحر فيك وفيك من أسبابه دعة المدل بمبقرى شبابه
قسم البقاء إليك في أقداره من شاد مجدك في قديم كتابه
وأفاض فيك من الهدى آياته ومن النهى والسحر ملء نصابه
اليوم يدفعني الحنين فأنثني ولهان مضطربا إلى أعتابه
سبق الهوى عيني في مضماره وجرى وأجفل خاطري من بابه
ودفنت غض صباي تحت ظلاله ودفنت بيض سني في محرابه

ولقيت من عنت (الزيود) مشاكلا

وبكيت من (عمرو) ومن إعرابه

وطلاب المعهد يبقلون ـ الآن ـ نحو الستمائة طالب ، أما مدرسوه فنحو الأربعين ، منهم منتدبون من الأزهر الشريف وهم خمسة ، ومنهم سودانيون متخرجون فى الأزهر ، وبعضهم من خريجى كلية غردون أو المدارس الثانوية ، وأكثرهم متخرجون فى المعهد ذاته ، وشيخ المعهد الآن مفتى السودان السابق الشيخ أبو شامة عبد المحمود ، وهو سودانى ، وكل من سبقه فى مشيخة المعهد كان من السودانيين أيضا

وفى أم درمان أكثر دور الأحزاب السياسية ، وهى من وهى من هذه الناحية تمتاز عن الخرطوم . كما تفد إليها السلع من كل أنحاء السودان ، وفيها يمنيون كثيرون ، وهنود ، وشوام ، ويونان ، ومصريون ، وكثير من التجارات فى أيدى هؤلاء . وأهل أم درمان ، كأهل السودان جميعا ، متدينون ، يؤدون الصلوات فى أوقاتها ، ويخرجون الزكاة ، والأمن والأمانة متوفران عندهم

وفى أم درمان تقوم قبة المهدى ، وفيها بعض آثاره ومخلفاته ، وأمامها ساحة كبيرة محوطة بسور مرتفع مستطيل طوله ٤٦٠ ياردة ، وعرضه ٣٥٠ ياردة ، وفيها محطة الإذاعة السودانية ، ومحطة الأرسال

وقد لفت نظرى وأنا أطالع فى دواوين الشعراء السودانيين أنى لم أجد لأم درمان موضعا فى أشعارهم ، مع أنى وجدت قصائد فى مدن كثيرة من مدن السودان ، فى الأبيض عروس الرمال ، وفى النهود ، وفى كسلا ، وفى سنار حيث يقول شاعرهم :

زرت سنار والجوانح أسرى ... زفرات هدت قوى الصبر هدا
أسعدتنا فيها الغداة دموع ... لم تخنا بالأمس فى دار سعدى
إن محا الدهر حسنها فلقد كا ... نت مراداً للمتقين وخلدا
كم لها فى الرقاب منا ديون ... وعزيز على ألا تؤدى
وجميل لأهلها عند أهلى ... ويد بالصنائع الغر تندى

وهى قصيدة تذكرنى بقصيدة البحترى فى إيوان كسرى ، وسنار كانت عاصمة مملكة الفونج ، وهى مملكة شهيرة فى التاريخ ، وبعضهم ينسب هؤلاء إلى النمر بن يزيد بن عبد الملك ، هربوا إلى السودان حين أساء العباسيون معاملة الأمويين

والوقت الذى لا تجد فيه قصيدة واحدة فى دواوين الشعراء عن أم درمان ؛ تجد قصيدة لأحد شعرائهم المشهورين فى باريس مع أنه لم يبرح السودان !

وقد أهدى إلى بعض الأصدقاء قصيدة فى أم درمان مخطوطة لأحد الشعراء ، كما قرأت أغنية تذاع من محطة الإذاعة عن أم درمان وهى أغنية جميلة

(وبعد) فهذه لمحة تعرف ، وفيها بعض الغناء

على العمارى

ظهرت الطبعة الثانية للرحلات الأولى

رحلات

لصاحب العزة الدكتور عبد الوهاب عزام بك

سفير مصر فى الباكستان

ثمن هذا المجلد ثلاثون قرشا عدا أجرة البريد

وهو يطلب من مجلة الرسالة ومن المكتبات الشهيرة

شوقية لم تنشر فى الديوان ...

للأستاذ عبد القادر رشيد الناصرى

يسرنى أن أقدم لقراء الرسالة الغراء فى كافة أقطار العروبة هذه القريدة العصماء للخالد الذكر المرحوم أحمد شوقى بك أمير شعراء الضاد بمناسبة قضايا مصر الأخيرة المتعلقة ببريطانيا، والتى نسج بردتها الشاعر فى ذكرى ١٣ نوفمبر سنة ١٩١٨ وعنونها بـ « جهاد مصر الوطنى » وقد عثرت عليها وأنا أنقب فى أوراق قديمة لى كنت أحتفظ بها ضمن مجموعة من المجلات العربية . وكانت هذه الرائعة منطوية بين دفتى مجلة « الزهراء » التى كان يصدرها فى القاهرة آنذاك الأستاذ محب الدين الخطيب، ويرجع تاريخ العدد من المجلة نفسها إلى سنة ١٩٢٦ م أو ١٣٤٥ هـ وقد راجعت الشوقيات بأجزائها الأربعة فلم أعثر عليها فعجبت كيف غفل أميرنا عن درجها فى الجزء الأول والثانى من شوقياته وقد طبعها فى حياته . وإذا كان المرحوم قد سها عنها فكيف غربت عن بال أنجاله عندما أعدوا الجزء الرابع من شوقياته للطبع ؟ هذا سؤال أود أن أوجهه إلى الأستاذ على شوقى وزير مصر المفوض فى فرنسا حاليا لعل هناك سببا أجهله أنا

أما من ناحية القصيدة فهى له بلا ريب لأنها لا تختلف عن شعره من ناحية إشراق الديباجة ومتانة السبك وفخامة المعنى ، وسلاسة الطبع . . وخصوصا استشهاده بوقائع من التاريخ الإسلامى وإشارته إلى حالات خاصة به . وسيطلع عليها القراء ضمن القصيدة ... هذا إلى أننى أود أن أنبه الكرام من قراء الرسالة الزاهرة إلى أن بعض الأدباء وأنصاف المتأدبين من العراقيين ينحرفون فى كثير من الأحيان وراء عواطفهم وعصبيتهم الإقليمية ؛ فيدعون بأفضلية شعر المرحوم معروف الرصافى على شوقى ، متأثرين بما يلقنهم الجهلة من أساتذة الأدب العربى فى مدارس العراق الرسمية . وأنا لا أعرف كيف يسوغ لهؤلاء الأساتذة الذين يفخرون بأنهم من حملة الشهادات العالية أن يقارنوا الرصافى بشوقى، وفى أى الحدود والموازين ، وماهو وجه التفاضل بينهما، فإلى هؤلاء جميعا أقول إن شوقى قمة شامخة من قمم الشعر العربى الأصيل ، لا يرقى إليها حتى أبو الطيب المتنبى . أما الرصافى كما قال المرى عندما قرئ عليه شعر ابن هانئ الأندلسى « رحمى تطحن قرونا » إذ أن أكثر شعره رحمه الله خطابى يعتمد على فخامة اللفظ وإيقاع الجرس حتى لترى فى كثير من شعره الخلو من المعنى ، وخصوصا فى قصائده التى كان يلقيها فى الحفلات التى يدعى إليها ، لأنه كان يعتمد على التأثير على السامعين بالألفاظ لا بالمعانى ، وبعبارة أخرى خلو شعره من الفن الصادق الذى يتسم به شعر شوقى . وقد يقول قائل إننى بهذه الكلمة أتجنى على المرحوم الرصافى وأنا عراقى؟ ولكنى أقول إن هذا هو الحقيقة ، لأننى لا زلت من أشد المعجبين حماسة بوطنيته وإبائه ، وقد نوهت عن ذلك فى سلسلة مقالات نشرتها فى مجلة الحديث الحلبية قبل سنتين ، كما قلت فى رثائه من قصيدة طويلة :

فدعوا القريض لأهله فميدده ... معروف غادر عرشه محزونا
الشاعر الحر الذى بيراعه ... راع «الملوك» وروع «الطاغينا»

فأنا الآن إذن لا أتحامل ولكنى أقرر الواقع، وهاهى قصيدة شوقى الخالدة، ورغم أنها نظمت سنة ١٩١٨ م فهل يستطيع أن ينظم شاعر مهما دان له البيان مثلها ؟!

خطونا فى الجهاد خطى فساحا ... وهادنا ولم نلق السلاحا
رضينا فى هوى الوطن الفدى ... دم الشهداء والمال المطاحا
ولما سلت البيض المواضى ... تقلدنا لها الحق الصراحا
فطمنا الشكيم سوى بقايا ... إذا عضت أربناها الجاحا (١)
وقمنا فى شراع الحق نلقى ... وندفع عن جوانبه الرياحا
نعالج شدة ونروض أخرى ... ونسعى السعى مشروعاً مباحا
ونستولى على القسمات إلا ... كعين الغيب والقدر المتاحا
ومن يصبر يجد طول التمنى ... على الأيام قد صار اقتراحا

* * *

وأيام كأجواف الليالى ... فقدن النجم والقمر الليحا (٢)
قضيناها حيال الحرب نحشى ... بقاء الرق أو نرجو السراحا
تركن الناس بالوادى قعوداً ... من الإعياء كالإبل الزواحى

(١) جمع شكيمة حديدة اللجام
(٢) الفقى

جنود السلم لا ظفر جزاهم ... بما صبروا ولا موت أراحا
فلا تلق سوى حي كميت ... ومنزوف(٣) وإن لم يسق راحا
ترى أسرى وما شهدوا قتالا ... ولا اعتقلوا الأسنة والصفاحا
وجرحى السوط لا جرحى المواضي ... بما عمل الجواسيس اجتراحا(٤)

* * *

صباحك كان إقبالا وسعداً ... فيا يوم الرسالة عم صباحا
وما نألو نهارك ذكريات ... ولا برهان غرتك الباحا
تكاد حلاك في صفحات مصر ... بها التاريخ يفتتح افتتاحا
جلالك عن سنى الأضحى تجلى ... ونورك عن هلال الفطر لاحا
هما حق وأنت ملأت حقا ... ومثلت الضحية والسماحا
بعثنا فيك « هارونا » وموسى ... إلى فرعون فابتدرا الكفاحا
وكان أعز من روما سيوفاً ... وأطغى من قياصرها رماحا
يكاد من الفتوح وما سقته ... يخال وراء هيكله (فتاحا)
ورد المرسلون فقيل خابوا ... فيالك خيبة عادت نجاحا
أثارت وادياً من غابتيه ... ولامت فرقة وأست جراحا
وشدت من قوى قوم مراض ... عزائمهم فردتها صحاحا
كأن ، بلال نودى : قم فأذن ... فرج شعاب مكة والبطاحا
كأن الناس في دين جديد ... على جنباته استبقوا الصلاحا
وقد هانت حياتهم عليهم ... وكانوا بالحياة هم الشحاحا
فتسمع في مآتمهم غناء ... وتسمع في ولائمهم نواحا

* * *

حواريين أوفدنا ثقاة ... إذا ترك البلاغ لهم فصاحا
فكانوا الحق منقبضا حييا ... تحدى السيف منصلتا وقاحا
لهم منا براءة أهل بدر ... فلا إثماً تعد ولا جناحا
ترى الشحناء بينهم عتاباً ... وتحسب جدهم فيها مزاحا
جعلنا الخلد منزلهم ، وزدنا ... على الخلد الثناء والامتداحا

* * *

يميناً بالتي يسعى إليها ... غدوا بالندامة أو رواحا
وتعبق في أنوف الحج ركناً ... وتحت جباههم رحباً وساحا
وبالدستور وهو لنا حياة ... نرى فيه السلامة والفلاحا
أخذناه على المهج الغوالي ... ولم نأخذه نيلا مستباحا
بنينا فيه من دمع رواقا ... ومن دم كل نابتة جناحا
لما ملأ الشباب كروح سعد ... ولا جعل الحياة لهم طماحا
سلوا عنه القضية هل حماها ... وكان حمى القضية مستباحا
وهل نظم الكهول الصيد صفا ... وألف من نجاربهم رداحا
هو الشيخ الفتى لو استراحت ... من الدأب الكواكب ما استراحا
وليس بذائق النوم اغتباقاً ... إذا دار الرقاد ولا اصطباحا
فيالك ضيغما سهر الليالي ... وناضل دون غايته ولا حى
ولا حطمت لك الأيام نابا ... ولا قضت لك الدنيا صباحا

* * *

وبعد فهذه عصماء شوقي سقتها لتكون شاهداً على عبقريته ولتضم إلى مجموعة شوقياته ، وخصوصاً إلى عشاق شعره الذين لا يحتفظون بنسخة منها

وفي الختام أود أن أنبه أساتذة الأدب العربي في العراق وفي مدارسها التي تشرف عليها وزارة المعارف إلى أن لا يهرفوا مرة أخرى أمام طلابهم بأن الرصافي أشعر من شوقي ، خوف أن يأتي زمن تكون فيه سمرة المثقفين العرب . اللهم اشهد لقد بلغت

بغداد — أمانة العاصمة — عبد الغفور رشيد الناصري

(٣) — المنزوف : المخمور
(٤) — الاجتراح : الري بالعسر

ظهر المجلد الثالث
من كتاب
وحي الرسالة
فصول في الأدب والنقد والسياسة
والاجتماع والقصص
للأستاذ احمد حسن الزيات

مقدمة لكتاب « فيلسوفي »

برتراند رسل

الفيلسوف الانجليزي المعاصر

للأستاذ عبد الجليل السيد حسن

تتمة ما نشر في العدد الماضي

فلسفته :

لا نظنك ظانا أننا آخذون في تفصيل فلسفة برتراند رسل ، في هذا المكان ، بل حتى ننأى بك عن أن تظن أننا آخذون في إجمالها لك الآن ، وأنت تعرف من دون شك أن هذا الفيلسوف قد جال في ميادين عدة ، كل ميدان منها يحتاج إلى فزوروتذليل ، فأنت تعرف أنه فيلسوف قبل كل شيء ومنطق ، بل إمام في المنطق ، وصاحب مذهب جديد فيه ، ثم هو عالم رياضي من الرعيل الأول وكاتب اجتماعي وأخلاق وصاحب آراء في التربية ، وهو في كل ذلك نسيج وحده ، يتناول كل شيء بعقله الخاص وذهنه العجيب . فهو حر إلى أبعد حدود الحرية ، يمقت الاستعمار ويزدريه . ويرى أن بريطانيا بدون مستعمرات وإمبراطورية ، تكون أسعد مما هي عليه الآن ، وامل في ذلك أثراً من جدته ، ثم هو يبغض الألقاب والمزايا الوراثية ويسخط عليها مع أنه سليل اللوردات أرستقراطي الأصل

وإن مفتاح فلسفة رسل هو الفكر الحر والنظر العقلي البحت والاطمئنان إلى ما يطمئن إليه العقل ، والنفور مما لا يتفق معه ، ولاشك أن عقلا هذه طبيعته وذهنا هذه خصائصه ، لا بد أن يتجه إلى الرياضة ، فهو مثال العلم العقلي الدقيق ولكن عقلا جبل على النظر الحر لا بد أن يستقرىء ويتعمق حقائق الرياضة . فقاده ذلك إلى القضايا الأولية التي تتركب منها الرياضة ، ولكن هل الرياضة هي الوحيدة التي لها هذه الميزة وهذه القضايا . ؟ لا ، إن هناك علماً آخر هو المنطق ، علم النظر العقلي الدقيق أيضاً ؛ فليدرس المنطق ، ولكنه يجد أن المنطق يتكون من بديهيات عقلية هي أساس للحقائق الرياضية ، إذن فالرياضة والمنطق أساسهما واحد ؛ بل إن الرياضيات والمنطق الصوري شيء واحد ، وفي مقدور العقل أن يستنتج كل حقائق الرياضيات من عدد صغير من البديهيات المنطقية ؛ إذن فلا بد للعقل أن يسير بهدى هذا المنطق ، ولكن ليس هو المنطق القديم العقيم . وقد اتخذ رسل طريقة قويمة هي طريقة التحليل المنطق ، وكان أعظم ما عمله رسل هو تخليص التحليل المنطقي من سيطرة النحو التقليدي ، فإن المعنى النحوي لجملة من الجمل لا يؤدي المعنى المنطقي لهذه الجملة ، فحينما نقول : « إن وحيد القرن (١) غير موجود حقيقة » فهذه الجملة ليست من نوع الجملة التي تماثلها من الناحية النحوية وهي « إن الأسود غير وديعة » فالجملة الأخيرة تعني أن هناك حيوانات معينة اسمها الأسود تنقصها صفة معينة وهي الوداعة ، ولكن الجملة « وحيد القرن غير موجود » لا تعني أن هناك حيوانات اسمها وحيد القرن وتنقصها صفة الواقعية ، لأنه ليس هناك مثل هذه الحيوانات حتى تكون هناك مثل هذه الصفة

إن أهم شيء في فلسفة رسل هو منطقه وآراؤه فيما بعد الطبيعة والأخلاق والطبيعة ، والعلاقة بين المادة والعقل ، ويمتاز رسل بتحليله المنطق العميق وهو يحب أن لا توضع فلسفة في صف الفلسفة المثالية أو الواقعية ، بل يفضل أن توصف بأنها « منطقية ذرية » (Logical Atomism) لأن الشيء الذي يميز كل دراساته هو استخدامه للتحليل المنطقي كطريقة ومنهاج ، واعتقاده أنه بهذه الطريقة يستطيع أن يصل إلى رأي مقبول في طبيعة المادة فالمادة مكونة من ذرات وبتحليله المادة تحليلا منطقيا يستطيع الوصول إلى حقائق ووقائع ذرية

---

(١) هو الحيوان الخرافي الذي يسمى (Unicorn) ويقال إن له جسم الحصان ورأس الغزال وقدم الفيل وذيل الأسد ويخرج من وسط جبهته قرن أسود ذو شعبتين وهو غير وحيد القرن المعروف بالخرتيت

والذى يجدر بنا الإشارة إليه الآن هو رأى رسل فى المعرفة لأنه بمثابة العمود الفقرى من فلسفته فيقول رسل (٢) « إن كل حقائق معرفتى عن العالم الخارجى هى حوادث (events) فى عقلى » (ص ١٧٦) ويوضح ذلك فيقول « إن ما أعرفه بدون استنتاج حينما أكون فى حالة ، ولكن « رؤية الشمس » ليس هو الشمس بل حادثة عقلية فى نفسى ، وأنا لا أشعر بالوائد والكراسى الموجودة الآن ، بل إن ما أحس به هو تأثيراتها المعينة فى ، وإن موضوعات الإدراك الحسى التى أعتبرها « خارجية » بالنسبة إلى مثل السطوح الملونة التى أراها ليست خارجية إلا فى فراغى الخاص الذى يتوقف عن الوجود حينما أموت » (ص ٢٢٥)

« وحينما يقال إنى أرى المائدة فإن الذى يحصل حقيقة هو أنى أحس بإحساس مركب يشابه — باعتبارات معينة — فى بنائه المائدة الطبيعية » فالإنسان حينما يرى المائدة لا يرى المائدة ، بل إنما يرى منها لونها وشكلها ، وإذا لمسها أحس بها ، ولكنه لا يرى اللون أو الشكل حقيقة بل كل ما يحدث أن يؤثر الإشعاع اللونى على بصره وأنه لا يرى الشكل كاملا مستطيلا أو مستديراً مثلا بل يراه من جهة واحدة ، ثم هو الذى يعطى له الشكل المستطيل أو المستدير ، وحينما يلمسها فكل ما يحدث أن يتأثر احساسه تأثيرات خاصة « فلسنا نرى حقيقة الموضوعات الطبيعية بشئ أكثر من سماعنا للموجات الكهرطيسية حين سماعنا للراديو » (ص ٣١١)

والأمر الرئيسى فى هذا القول هو أننى حينما أرى شيئا وليكن مائدة مثلا فإن إدراكى الحسى هذا هو حادثة فى عقلى أنا ، ولكن ما هو الإدراك الحسى ؟

يجيب رسل عن ذلك بأنه — كما يستعمل اللفظة — ما يحدث حينما يرى شيئاً أو يسمع شيئاً أو حينما يعتقد فى نفسه أنه أصبح يشعر بشئ خلال حواسه

---

(٢) رأى رسل فى المعرفة معروض فى كتابه الذى ظهر سنة ١٩٤٨ وعنوانه « المعرفة الإنسانية ، مداها وحدودها »

وأما آراؤه فى التربية فهو يرى أنه ينبغى أن تعالج التربية فى السنوات الأولى من الطفولة لأنه بعد سن السادسة تقريباً يكون قد تكون لدى الطفل عادات وميول بها يسهل قياده فى الطريق الصحيح المراد أن يسلكه ، فنحن نستطيع أن نشكل ونوجه غرائز الطفل وقواه فى سنواته الأولى إلى ما نريده من تربيته . والطفل ليس شريراً أو خيراً بفطرته ؛ بل إن الذى يحوله إلى الخير أو الشر هو التوجيه التربوى القويم أو المعوج فى السنوات الأولى ، ويهدف من التربية إلى خلق أناس يتوفر لديهم من النشاط والحيوية والشجاعة وعدم الخوف والذكاء وسعة الأفق واتساع العقلية الشئ الكثير . ولا بد من الحرية والفكرية وتشجيع الغريزة — لدى الشباب — إلى مناقشة كل أمر ، والإيمان بأن المعرفة يمكن تحصيلها ، وأنها ليست مستحيلة وإن كانت صعبة فى بعض الأحيان

ومن المفيد أن يربط بين العلم النظرى والحياة العملية وتبين فائدة العلم النظرى فى الحياة للأطفال ، وليس معنى ذلك إهمال العلم المحض ، فهناك علوم لها قيمة كبرى بغض النظر عن تطبيقاتها العملية

ولنستحضر أمام أعيننا أن الحياة السعيدة هى تلك الحياة التى يقعم جوانبها الحب ، ولكنه ليس حبا تقوده أمور اعتباطية ، بل هو الحب الذى تقوده وتدير رحاه المعرفة والعلم ، فمعرفة بدون حب تؤدى إلى هلاكنا ، وحب بدون معرفة يؤدى إلى هلاكنا أيضا

* * *

وهل هناك من إله ؟ يقول رسل أن لا ! وإن كان هناك إله فهو إله محدود ، وليس ببعيد أن يقول ذلك فهو الذى يقول إن الإنسان وحش وإله . وليس هناك من إله مطلق القوة والقدرة بالصفات التى يعتقدها المتيحيون فى الله ، لأن الله لو كان مطلق القدرة ما خلق هذا العالم الناقص . وقد برهن ليبنتز على أن الشر من الضرورى أن يوجد فى العالم لكى يكون من الممكن إظهار خير أعظم منه ولكن ليبنتز لم يلاحظ أن نفس الدليل يثبت أيضا وبنفس القوة أنه من الضرورى وجود الخير لكى

يكون من الممكن إظهار شر أعظم منه ، ولو أن عالما سيئا بعض السوء قد خلقه إله مطلق الإحسان، فإن عالما خيراً بعض الخير قد يكون الذى خلقه شيطان مطلق الشر، وكلا الدليلين يبدوان أنهما محتملان عند رسل ، ويكفى أنهما محتملان وليسا بيقينيين فى الرد عليها

* * *

ونختتم الآن هذا العرض الموجز لحياة رسل ، وطرفا من فلسفته بنقل تجربة عاناها برتراند رسل نفسه وسجلها فى أحد كتبه (٣) قال « إنى لم أولد سعيدا ... وفى سن الخامسة تفكرت فى أننى لو عشت إلى السبعين أكون فقط قد تحملت إلى الآن جزءا من أربعة عشر جزءا من حياتى وشعرت أن الشقاء الطويل المدى الذى أمامى مما لا يمكن تحمله ، وفى المراهقة مقت الحياة وكنت على شفا الانتحار الذى لم يمنعنى منه إلا رغبتى فى أن أتزود أكثر من الرياضيات . والآن فإننى على العكس أتمتع بالحياة ، وبالأحرى يجب أن أقول إننى أتمتع بها أكثر بمرور الأعوام ، وهذا راجع نوعا ما إلى توفيقى فى اكتشاف الأشياء التى أرغب فيها أكثر ، وقد حصلت على كثير منها تدريجا ، وهذا راجع إلى نجاحى فى طرد أشياء ـ كانت موضع الرغبة ـ مثل الحصول على معرفة حقيقية لا تقبل شكا عن شئ أو غيره ـ لأنها من المحال إدراكها ، ولكن هذا يرجع فى الغالب إلى التقليل من محاسبة نفسى، فقد كنت كالآخرين الذين تلقوا تربية جافة (حنبلية) كثير التأمل فى خطاياى وحماقاتى وتقصيرى وبدوت لنفسى ـ ومن دون شك كان ذلك صادقا ـ مثلا تعسا ، وبالتدريج تعلمت أن أكون قليل الاهتمام بنفسى وبتقصيرى، وأخذت أركز انتباهى بازدياد نحو الموضوعات الخارجية : حالة العالم ، الفروع المختلفة للمعرفة ، والأشخاص الذين أشعر نحوهم بحب . وحقا إن الاهتمام بالأشياء الخارجية له ألمه المحتمل : فقد يشتبك العالم فى حرب ، وقد تكون المعرفة من الصعب الحصول عليها فى بعض النواحى ، وقد يموت الأصدقاء ، ولكن الآلام من هذا النوع لا تقضى على القيمة الجوهرية للحياة كهذه الآلام التى تصدر عن النفور مع النفس ، وكل اهتمام خارجى يوحى ـ مادام الاهتمام فعالا قويا ـ بشئ من النشاط الذى يعتبر وقاية تامة من السآمة والضجر ، وعلى العكس من ذلك لا يؤدى الاهتمام بذات الشخص إلى نشاط من النوع المتزايد »

والآن لندع رسل يحدثنا عن عقيدته وقد عرضها فى كتابه هذا الصغير (٤)، وهو على رغم صغره أحد المراجع الهامة فى فلسفة رسل، وميزة الكتب الصغيرة أنها تعرض المؤلف وعقيدته الخاصة لأنه ليس هناك من مجال لعرض آراء غيره والمناقشات الطويلة التى لا يعرف منها رأى الكاتب إلا بعد طول عناء

الكلام بقية

عبد الجليل السيد حسن

11, 18 19 The Conquest of Happiness

٣٦ . ٤٥

(٤) ـ ظهرت الطبعة الأولى فى مارس سنة ١٩٢٥ وظهرت الطبعة الثامنة فى يناير ١٩٣٣ وعنها الترجمة ، وقد ظهرت هذه الطبعات فى سلسلة « اليوم والغد » ، وعنوان الكتاب الأصلى (What I Believe)

إعلان

تعلن كلية الزراعة بالجيزة عن وجود وظيفة أستاذ لكرسى الاقتصاد الزراعى من الدرجة الثانية خالية بها وأنها ترغب فى شغل هذا الكرسى بمن تتوفر فيه الشروط المنصوص عليها فى لوائح الجامعة بشرط أن يكون له أبحاث علمية قيمة مبتكرة

فمن يرى فى نفسه توفر الشروط المطلوبة فليتقدم بطلبه على الاستمارة ١٦٧ ع . ح . برسم حضرة صاحب العزة عميد كلية الزراعة بالجيزة فى ميعاد غايته أسبوعين من تاريخ النشر والموظفين تكون طلباتهم طريق المصالح التابعين لها ٨٣٨٠

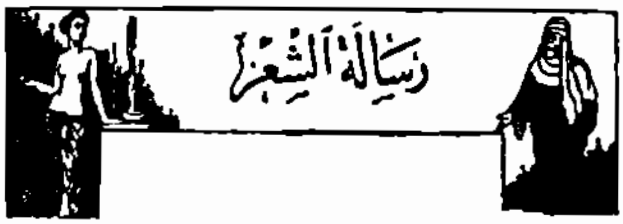

حياتي ظلال !

للأستاذ ابراهيم محمد نجا

حياتي ظلال وعيشي ملال ونفسي مغلفة بالعـــذاب !
وعمري قيـود لروح شرود تفرد . . . لا موطن أو صحاب !

* * *

وحبي سراب طـواه اليباب وقد كان يسمد قلبي الحزين
وقلبي غريب جفاه الحبيب وأودع فيه لهيب الحنين

* * *

وصمتي أنين خفي الرنين يناجي عهوداً طواها الخفاء
وتلك العهود رماها تعود وتسقي حياتي رحيق الصفاء ؟

* * *

وشعري نواح كشجو الرياح إذا مزقتها شعاب الجبـال !
ومن ذا يلوم ؟ وعمري غيوم تعربد فيهـا رياح الزوال !

* * *

عبرت الوجود بناي وعود وغنيت ما هز قلب الجماد
فضاع الغناء ومات الرجاء وصارت حياتي . . . بقايا رماد !

* * *

وعمدي هباء كنجم أضاء لمابر ليـــل شريد غريب
فلمـــا أتاه توارى سناه وخلفه للظـــلام الرهيب

* * *

وحظي ضياع وحق مضاع أحارب من أجله الناسبين
وكم ذا أثور كنار تفور فيستنصر الظلم بالظالمين

* * *

وكم ذا بليت وكم ذا اشتكيت فضاعت شكاتي ، وضاع البكاء
وما لي معين من البائسين فمأخذ ما نبتغي . . . بالدماء

* * *

وبعض الأنام عبيد طغام يسخرهم ســـادة أدعياء !
أذاعوا الشقاء بأرض الثراء لتسدهم شقـوة الأشقياء !

* * *

فقدت العزاء وعفت البقـاء يأرض سقتني نقيع الشجون
أريد الرحيل كشمس الأصيل إلى عالم لا تراه العيون

* * *

وكيف الذهاب ؟ وجسمي تراب
تقيده الأرض . . . رمز القيـــود
فيا للمصير ؟ تراب يســـير
ليفنى كما كان قبـل الوجود

* * *

أمامي ظـلام وخلفي قتام وتحتي ركام كجون السحاب
وفوق الركام يسير الحطام وما هو إلا حطام الشبـاب

* * *

بعيـــد الديار وكيف المزار وما من دليل ، ولا من طريق
شربت الهوان بكف الزمان فأصبحت من سكرتي لا أفيق

* * *

عن أستجير ؟ وما لي من نصـــير
كأني أقـــيم بأرض الذئاب !
وكم لي نداء يهز الفضاء وما من مجيب ، وما من جواب !

* * *

عـــلام الشكاة لصم عتاه بكاء الحيارى لديهم . . . غناء ؟
ويا قلب . . . آه ! سئمنا الحياة فهيا نسر في طريق الفناء !

ابراهيم محمد نجا

اللب والقشور

للشاعر محمد مفتاح الغيتوري

لا تحسبي سخرك من شعوري
يطفئ بين اللهيبين نوري . . !
يا أرض . . . يا خانقـــة الزهور
يا عبـــدة الأصداف والقشور

مواطنون ... لا رعايا

تأليف الشيخ خالد محمد خالد

الأستاذ علي العماري

هذا كتاب يجيء في أوانه، وبقدر ما أخفق المؤلف في كتابه (من هنا نبدأ) بقدر ما أصاب من نجاح في كتابه هذا،

يا مقلة شائهة التصوير ...
يا كعبة ملعونة النذور ...
يا جثة منتنة البخور ...
لسوف يوماً تبصرين نوري
نور الفتى المحتقر الفقير
فتسجدين سجدة المقهور
خاشعة ... هنا على حصيري
باسطة كفيك كالصرير
صارخة من وطأة الضمير
فمربدي راقصة وثوري
وأحتقري واستهزئي وجوري
وأعرق ما شئت في الفجور
واستغرق في وهمك النضير
فوق فراش الشهوة الوثير
وزهر القطيفة المنثور ...
وتحت ضوء الرقص البلوري
ورنة الأرغن والطنبور
ووعدة الأكؤس في الثغور
وجيشان الرغبة المثير ...
فغداً تحين ساعة النشور ويعرف اللب من القشور

محمد مفتاح الفيشاوي

ومقياس الإخفاق والنجاح عندي هو سلامة الفكرة، وأصالة الرأي، والقرب من الصواب، والبعد من المغالطة والتعثر والإضطراب

ولعل كتاب (مواطنون لا رعايا) من أجدر الكتب بأن يطلع عليه كل من يستطيع أن يقرأ في مصر، بل في الشرق، فهو جدير بأن يطالعه الزعماء وقادة الرأي في البلد إن كان عند هؤلاء رغبة في مطالعة كتاب شعبي ألفه رجل ليس من كبار المؤلفين، ولكن قوله من أحسن وأجل وأصدق ما يجب أن يقال، وهو جدير بأن يطالعه شباب مصر المثقفون لأنه يعبر عما يجول في النفوس من آلام وآمال، وهو جدير بأن يطالعه رجل الشارع لأنه يبصره بمواضع قدميه، ويقول الكلمة التي لا يستطيع أن يقولها وإن كانت تحوم على لسانه، وتستقر في نفسه

بدأ المؤلف كتابه في الحديث عن الاستعمار التركي، وما أصاب مصر من بلاياه ورزاياه، وما خلف فيها من آثار سيئة في حياتها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، ثم قال — وهنا بيت القصيد — : (ونحن ننبش قبر الاستعمار التركي لنكتشف الأوتاد المطمورة تحت ترابه، والتي لا تزال تصلنا بها سلاسل وأغلال. ومالم ننتظف روحنا المسيطر من رواسب الماضي فسنظل دائماً نعيش في ذلك الماضي برجعيته وفساده واستبداده، وسيظل الشعب جاثيا تحت الأثقال التي أنقضت ظهره، وهدمت قواه. إننا — الدولة والشعب — لا نزال نعيش في ذلك الماضي السحيق، فالعجز السياسي، والرجعية الاقتصادية، والانهيار الخلقي، والشعب المستسلم، والحكم الأتقراطي، والفساد الإداري، والحريات المصادرة، واستغلال الدين. كل هذه الخطايا تقترف اليوم بنفس الهمة العالية التي كانت تجترح بها في تلك القرون. إن الاستعمار التركي قد اختفى حكامه، وبقيت تقاليده وشعاره وأحكامه)

ثم تحدث عن الاستعمار الإنجليزي، مبينا مثالبه وأخطاره، وشارحا دخول الإنجليز مصر، والمظاهر المختلفة التي ظهر فيها الاستعمار، وأطال جدا في هذه الناحية، وانتهى إلى أن شيئاً مما تفعله الحكومة لن يخرج الانجليز من مصر، فالمفاوضات لا ثمرة

مواطنون ... لا رعايا

تأليف الشيخ خالد محمد خالد

الأستاذ علي العماري

هذا كتاب يجيء في أوانه، وبقدر ما أخفق المؤلف في كتابه (من هنا نبدأ) بقدر ما أصاب من نجاح في كتابه هذا،

يا مقلة شائهة التصوير ...
يا كعبة ملعونة النذور ...
يا جثة منتنة البخور ...
لسوف يوماً تبصرين نوري
نور الفتى المحتقر الفقير
فتسجدين سجدة المقهور
خاشعة ... هنا على حصيري
باسطة كفيك كالصرير
صارخة من وطأة الضمير
فمربدي راقصة وثوري
وأحتقري واستهزئي وجوري
وأعرق ما شئت في الفجور
واستغرق في وهمك النضير
فوق فراش الشهوة الوثير
وزهر القطيفة المنثور ...
وتحت ضوء الرقص البلوري
ورنة الأرغن والطنبور
ووعدة الأكؤس في الثغور
وجيشان الرغبة المثير ...
فغداً تحين ساعة النشور ويعرف اللب من القشور

محمد مفتاح الفيشاوي

ومقياس الإخفاق والنجاح عندي هو سلامة الفكرة، وأصالة الرأي، والقرب من الصواب، والبعد من المغالطة والتعثر والإضطراب

ولعل كتاب (مواطنون لا رعايا) من أجدر الكتب بأن يطلع عليه كل من يستطيع أن يقرأ في مصر، بل في الشرق، فهو جدير بأن يطالعه الزعماء وقادة الرأي في البلد إن كان عند هؤلاء رغبة في مطالعة كتاب شعبي ألفه رجل ليس من كبار المؤلفين، ولكن قوله من أحسن وأجل وأصدق ما يجب أن يقال، وهو جدير بأن يطالعه شباب مصر المثقفون لأنه يعبر عما يجول في النفوس من آلام وآمال، وهو جدير بأن يطالعه رجل الشارع لأنه يبصره بمواضع قدميه، ويقول الكلمة التي لا يستطيع أن يقولها وإن كانت تحوم على لسانه، وتستقر في نفسه

بدأ المؤلف كتابه في الحديث عن الاستعمار التركي، وما أصاب مصر من بلاياه ورزاياه، وما خلف فيها من آثار سيئة في حياتها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، ثم قال — وهنا بيت القصيد — : (ونحن ننبش قبر الاستعمار التركي لنكتشف الأوتاد المطمورة تحت ترابه، والتي لا تزال تصلنا بها سلاسل وأغلال. ومالم ننتظف روحنا المسيطر من رواسب الماضي فسنظل دائماً نعيش في ذلك الماضي برجعيته وفساده واستبداده، وسيظل الشعب جاثيا تحت الأثقال التي أنقضت ظهره، وهدمت قواه. إننا — الدولة والشعب — لا نزال نعيش في ذلك الماضي السحيق، فالعجز السياسي، والرجعية الاقتصادية، والانهيار الخلقي، والشعب المستسلم، والحكم الأتقراطي، والفساد الإداري، والحريات المصادرة، واستغلال الدين. كل هذه الخطايا تقترف اليوم بنفس الهمة العالية التي كانت تجترح بها في تلك القرون. إن الاستعمار التركي قد اختفى حكامه، وبقيت تقاليده وشعاره وأحكامه)

ثم تحدث عن الاستعمار الإنجليزي، مبينا مثالبه وأخطاره، وشارحا دخول الإنجليز مصر، والمظاهر المختلفة التي ظهر فيها الاستعمار، وأطال جدا في هذه الناحية، وانتهى إلى أن شيئاً مما تفعله الحكومة لن يخرج الانجليز من مصر، فالمفاوضات لا ثمرة

لها ، والمنظمات الدولية خداع ونفاق وأداة طيعة فى يد القوة ، وإنما يخرج الإنجليز من مصر شئ واحد ، هو القوة ، ولا شىء غير القوة

ولتحقيق هذه الغاية يتعرض المؤلف للأوضاع القائمة فى مصر ، وينقدها نقداً عنيفا صريحا لا مواربة فيه ولا التواء ، ثم يوضح الطريق للاصلاح المنشود (ولقد حاولنا جهد هذا البحث المقتصد الموجز ، أن ننفض عن أمتنا طغاوة البغى ، ورهج الانكسار ، ونعاونها فى فض قيودها وأغلالها ، وسنرى خلال سيرنا مع هذه السطور ما يجعلنا ترتد عاجزين عن الاقتناع بأن لنا حقوقا ترعى وحرمات تصان) فينقد الحياة النيابية ، ويرسم الخطة لإصلاحها ، وينقد الصحافة التى تجعل (الأخلاق التجارية تسيطر عليها أكثر مما يسيطر عليها الواجب الأدبى) وينقد الأحزاب ومناهجها وسلوكها فى حكم الأمة (فالحزب الذى لا يستأثر بالحكم يستأثر بكل شىء معه . لقد آمنت بأن الأحزاب لا تحترم الشعب أبدا . أن الحزب — فيما يبدو — لا يريد نائبا يشرفه بعقله ومواهبه ، ولكنه يريد — بوليصة تأمين — تؤمن خزينته من الإعواز ، ونفوذه من الخذلان . وبعد : فإن مجالسنا النيابية حتى اليوم لم تمثل الأمة بقدر ما مثلت الحزب . والبرلمان الذى يأتى ثمرة هذه الأوضاع الفاسدة — لا يحكم الحكومة بل تحكمه) وينقد الحكومات فى معالجتها كل حركة بقانون ، ويرى أن السلس الذى يصيب الحكومات فى وضع القوانين هو أخطر ما تصاب به أمة ، وأن محاولة زجر الشعب بقانون إنما هو كمحاولة إطفاء النار بقاذفات اللهب (ولسنا بذلك ندعو إلى شغب أو فتنة ، بل إلى سكينة وسلام ، وإنما دعاة الفتنة والثورة ؟ بحق هم أولئك الذين يتحدون طبائع الأشياء ويحاربونها بقانون) ثم يصف حال الشعب فى عبارات صريحة جريئة (إن بلادنا محرومة من أن تفكر لأنها محرومة من أن تقرأ ، ومحرومة من أن تعبر وتقول ، وهى ممنوعة من ذلك كله حرصاً على سلامة الدولة ، وسلامة الهيئة الاجتماعية . مطلوب من الجماهير أن تبسط يدها إلى اللقمة المغمة ، أو الحشرة الدسمة ، ثم تدسها فى فمها ، وتستحليها كما تفعل بأى شئ حلو لذيذ . ماذا طرأ علينا من تغيير وتطوير ؟ كنا بالأمس (عبيد الباب العالى) ونحن اليوم عبيد الحزب الحاكم .. أى حزب . كنا بالأمس ضحايا النهب والرشوة والاستغلال ، ونحن اليوم كذلك أيضا . كنا بالأمس مسلوبى الحرية والإرادة . . . وليس لنا دستور ، ونحن اليوم مسلوبو الحرية والإرادة والكرامة ومعنا دستور . كنا بالأمس أمة مستعمرة باكراه ، ونحن اليوم أمة مستعمرة بمعاهدة) ويدعو فى قوة وحماس إلى تنمية غرائز الغضب والنفور ، وحب الذات فى الشعب ، وتركها تؤتى ثمارها فى تقدم الأمة وتحريرها ، ويرى أن غريزة حب الذات من أنبل وأنفع السلائق الإنسانية

ولو أن المؤلف أضاف إلى هذه المثبطات لتقدم الأمة ، والعوامل فى تأخرها ، لو أنه أضاف الإذاعة المصرية التى قتلت فى الأمة عزتها ، والصحف الماجنة التى جنت على أخلاقنا أشنع الجنايات وأقتلها ، لأتم بذلك الدائرة الحقيرة التى تضغط الشعب وتحكم قيوده

ولم أرد بهذا العرض السريع أن أوصل إلى القارئ كل ما فى الكتاب من حقائق ، وما يشتمل عليه من توجيهات للحكومات والشعوب ، وإنما أردت — فقط — أن أشير إلى روح الكتاب ونهجه

على أنى لا أخلى المؤلف من اللوم ، فإن عنده عقدة نفسية من رجال الدين ، فهو يهجم عليهم لغير مناسبة ، ويتجنى عليهم ولا جناية ، وليس أدل على ذلك من ذكره لهم عند حديثه على غريزة الغضب وغريزة حب الذات ، فهو يحاول أن يحملهم وزراً مع أنهم لا يخالفونه فى الرأى ، وهو عند — النظر الفاحص — لم يزد على ما يقولونه شيئاً ، وأنا لا أريد أن أخلى رجال الدين من التبعات ، ولا من اللوم ، ولكنى أحب أن نلوم عندما نجد موضعاً للوم حتى يكون لومنا مفيداً . كما أن المؤلف لم يوفق فى كلامه على التقاليد وبخاصة حين قال : (والحقيقة التى تغرب عن بالنا هى أن الأديان جميعها لم تأت إلا لتدمدم على التقاليد وتقتلعها ثم تذروها مع الريح . .) هكذا بعمم الكلام .. وهو خطأ ذريع

إن المؤلف أسرف فى إرخاء العنان للغرائز التى ذكرها ، ولكنه دون أن يشعر رجع إلى الاعتدال ، فهو مثلا ينقل عن

بعض الكتاب مؤيداً ما يقول الكاتب ، وفي هذه الكلمات التي أشاد بها المؤلف هذه الفقرات عن غريزة الغضب (ولكننا إذا أرخينا الحبل لهذا الحافز الماطق الذي لا غنى عنه كانت النتيجة مدمرة ، فإن البغضاء المزمنة أو إمساك الحقد في القلب يمزق صاحبه) وهذا هو الاعتدال الذي ينادي به رجال الدين ورجال التربية في كل الغرائز ولا شيء غير هذا ، فإذا كان المؤلف مؤمناً بهذا الاعتدال فهو - إذن - لم يأت بجديد ، وإذا كان يريد أن تترك الغرائز تجري غاية حضرها فقد أخطأ الطريق

والمؤلف ينكب الجادة عن قصد أو عن غير قصد حين يدعو إلى التحالف مع روسيا ، وحين يشيد بمبادرات جميلة بروسيا وبمواقفها مع مصر ، ولو التزم جانب السداد والنظر الفاحص ، لرفض أن يدعو إلى التحالف مع روسيا كما يدعو إلى رفضه مع بريطانيا وأمريكا

بريطانيا وأمريكا دولتان استعماريتان ، تضمران للشرق كل شر . هذا صحيح . ولكن روسيا — أيضاً — كذلك، ولا أدري كيف نسي المؤلف أو تناسى معاونة روسيا على قيام إسرائيل ! ؟

إن روسيا تحارب الاستعمار في كل مظاهره — كما يقول المؤلف - ولكنها لا ترى بأساً من أن تساعد على طرد شعب من دياره ليحل محله شعب آخر ! الحق يا أستاذ أن - الكفر كله ملة واحدة - كما يجري على الألسن

وأعود فأقول إن المؤلف كفر بكتابه (مواطنون لا رعايا) عن كتابه (من هنا نبدأ) والحسنة كفاء السيئة

ع . ع

كتب جديدة :

حافظ وشوقي

تأليف الأستاذ حسن كامل الصيرفي — ٢٦ صفحة من الحجم الكبير — الطبعة الثانية بالمقتطف عام ١٩٤٩

للأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي

الأستاذ الصيرفي شاعر مجدد ، من المدرسة الحديثة في الشعر المصري المعاصر . ودبوانه : « الألحان الضائعة » و« الشروق »، وألحانه الجميلة وتأملاته التي تنشر في الصحف والمجلات ، من الطراز الفني العالي ، الذي ينم عن شاعرية موهوبة أو نفس شاعرة ، وملكات مطبوعة . . ورمزيته في ترانيمه الموسيقية الآسرة واضحة كل الوضوح، كما يقول الناقد الحر مصطفى السحرتي في كتابه « الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث »

ونشاط الصيرفي الأدبي نشاط مبكر جدا ، فمنذ الخمسة عشر عاما كان يشرف على تحرير بعض المجلات الأدبية ، ويكتب البحوث في الأدب والنقد ، وينظم القصائد الجميلة العالية

وآخر ثمراته الأدبية كتابه « حافظ وشوقي » ، الذي يدل على عقلية مؤلفه الخصبة ، وملكاته القوية في النقد ، ومنهجه الواضح في الموازنة والتحليل ، والدراسة الأدبية الصحيحة

وصعوبة الكتابة عن شوقي وحافظ من حيث الموازنة المنهجية بينهما ، لا يجهلها أحد ، ولكن الصيرفي نهض بهذا العبء في قوة واستقامة فرض ودقة تحليل وإصابة هدف

والشاعر لا يستطيع أن ينقد شعره إلا شاعر مثله ، يفهم منهج الشعر ومذاهبه وأدواته ، ويتذوق أسلوبه وعناصره . . . سئل البحتري عن سلم وأبي نواس أيهما أشعر؟ فقال أبو نواس. فقيل له إن أبا العباس ثعلباً (الراوية اللغوي الأديب النحوي المتوفى ٢٩١ هـ) لا يوافقك على هذا ؛ فقال : ليس هذا من شأن ثعلب وذويه المتعاطين لعلم الشعر دون عمله .

لذلك كان نقد الصيرفي الشاعر لشوقي وحافظ الشاعرين : وموازناته الأدبية بينهما ، من الدقة والإصابة بمكان بعيد مما نحس به حين يتحدث عن ديباجة الشاعرين وموسيقاهما، أو حين يحلل شعرهما السياسي والتاريخي ، أو شعرهما في الطبيعة والمرأة، وفي الرثاء ، وفي بعض المواقف التاريخية والوطنية : كحادثة دنشواي ، ووداع كرومر ، ووفاة مصطفى كامل ، وإعلان الدستور العثماني وخلع عبد الحميد ، وحريق ميت غمر ، وزلزال مسينا الذي صوره حافظ ، وزلزال طوكيو الذي صوره شوقي ، ومحاولة اغتيال سعد

وحين يعرض الصيرفي الناقد لفن الشاعرين نلاحظ قوة

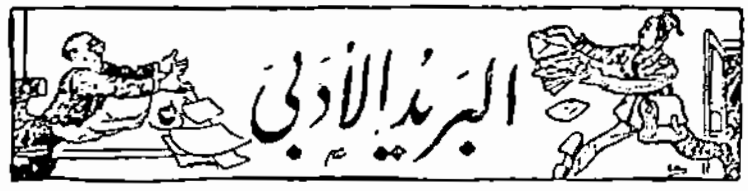

تعليق على « الدخان فى الشعر »

كتب الأستاذ عبد القادر رشيد الناصرى فى العدد ٩٢٥ من الرسالة الغراء مقالة بعنوان « الدخان فى الشعر » استعرض فيها بعض القصائد فى الدخان لبعض الشعراء العراقيين

وأول ما تناول كاتب المقال قصيدة « العادات قاهرات » للمرحوم الرصافى المنشورة فى ديوانه الأول المطبوع سنة ١٩١٠ م بالمطبعة الأهلية ببيروت

ولقد استوقفتنا بعض العبارات التى دونها الأستاذ براعه على صفحات الرسالة . وإظهاراً للحقيقة وددنا التعليق والرد على ما جاء ، بهذه الفقرات التالية لكى يقف على الحقيقة . الفقرة الأولى : —

علق الأستاذ على هذه الأبيـــات من أنها خير دليل على كذب الرصافى

إن كافتنى السكارى شرب خمرتهم
شربت لكن دخاناً من سيكاراتى

إنى لأمتص جراً اف فى ورق
إذ تشربون لحيباً ملء كاسات

إن الرصافى نشر هذه القصيدة بديوانه المنشور سنة ١٩١٠ م وربما نظمها قبل هـذا التاريخ ببضع سنوات ، وبهـذه الفترة الزمنية فى حياته كان صادق اللهجة فى إنكاره الخمرة بعيداً عمـا يتصوره الأديب ، حيث أنه لم يتحرر من العامل الدينى آنذاك تحريرا كليا ، إذ كان يقتصر على التدخين وحده ، ولا يرى فى الكأس إلا سما زعافاً

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإنه شاعر ، والشاعر له إحساسات وعواطف يحس فيها بقرارة نفسه ، فيتناول يراعتـه ليضعها فى قوالب موسيقية متناسقة ، ويلبسها حلة زاهية . ولو علم أن ما كتبه مخالف لما هو عليه ، فرائده تدوين ما انبثق من حسه وما يتصوره من شعور

ولو فرضنا جدلا أن الرصافى يحتسى الخمر حقا فى تلك الحقبة الزمنية فقصيدته جاء بها عن طريق النصح والارشاد حتى يتعظ القارئ ويقتنع من قول ناصحه

ولقد سلك الرصافى مسلكا تحايليا لإبانة ضررها بصورة يشعر المطالع لها ان ناظمها ممن يجب الاقتفاء بأثره فيتخذ بنصحه فهذا لا يعتبر كذبا

الفقرة الثانية : —

استشهد الأديب بهذه العبارة للأستاذ الكبير «الزيات بك» (همه من الحياة شرب العرق ، ولعب الورق ، واستباحة الجمال)

إنا لا نزعم أن الرصافى لم يحتس الخمرة قط ولا ذاق طعمها ، بل يعود نظم هذه القصيدة فى وقت كان أبعد ما يكون فيه عن الخمر

أما عبارة الأستاذ الزيات فكانت صريحة لا عثار عليها — وهذا ما نتفق به مع الأديب الناصرى — إذ قدم العراق بين فترة سنة ١٩٣٠ م إلى سنة ١٩٣٣ والرصافى بحد ذاته لا ينكر ذلك بل ينطق بصراحته التى عهدناها فيه . وإليك قصيدته التى نظمها بعد تلك القصيدة أى (العادات قاهرات)

وروعة لا مثيل لهما ، رغم الإيجاز الشديد فى حديثه عن ذلك

وهذه الموازنات بين الشاعرين تسير وفق أحدث المناهج الأدبية فى النقد ؛ فهى ليست نمطاً من الموازنات القديمة ، التى تنظر إلى الألفاظ والقواعد ، وتحليل بيت، وتعداد محاسن وعيوب محدودة ؛ وإنما هى موازنات تنظر إلى البواعث النفسية التى أثرت فى فن كل من الشاعرين وإنتاجهما

إن هذا الكتاب القيم لجدير بأن يضفى على شخصية الصيرفى الشاعر شخصية الناقد الحر الطليق

محمد عبد المنعم خفاجى
مدرس بكلية اللغة العربية

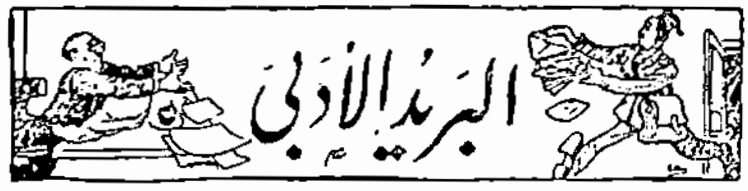

تعليق على « الدخان فى الشعر »

كتب الأستاذ عبد القادر رشيد الناصرى فى العدد ٩٢٥ من الرسالة الغراء مقالة بعنوان « الدخان فى الشعر » استعرض فيها بعض القصائد فى الدخان لبعض الشعراء العراقيين

وأول ما تناول كاتب المقال قصيدة « العادات قاهرات » للمرحوم الرصافى المنشورة فى ديوانه الأول المطبوع سنة ١٩١٠ م بالمطبعة الأهلية ببيروت

ولقد استوقفتنا بعض العبارات التى دونها الأستاذ براعه على صفحات الرسالة . وإظهاراً للحقيقة وددنا التعليق والرد على ما جاء ، بهذه الفقرات التالية لكى يقف على الحقيقة . الفقرة الأولى : —

علق الأستاذ على هذه الأبيـــات من أنها خير دليل على كذب الرصافى

إن كافتنى السكارى شرب خمرتهم
شربت لكن دخاناً من سيكاراتى

إنى لأمتص جراً اف فى ورق
إذ تشربون لحيباً ملء كاسات

إن الرصافى نشر هذه القصيدة بديوانه المنشور سنة ١٩١٠ م وربما نظمها قبل هـذا التاريخ ببضع سنوات ، وبهـذه الفترة الزمنية فى حياته كان صادق اللهجة فى إنكاره الخمرة بعيداً عمـا يتصوره الأديب ، حيث أنه لم يتحرر من العامل الدينى آنذاك تحريرا كليا ، إذ كان يقتصر على التدخين وحده ، ولا يرى فى الكأس إلا سما زعافاً

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإنه شاعر ، والشاعر له إحساسات وعواطف يحس فيها بقرارة نفسه ، فيتناول يراعتـه ليضعها فى قوالب موسيقية متناسقة ، ويلبسها حلة زاهية . ولو علم أن ما كتبه مخالف لما هو عليه ، فرائده تدوين ما انبثق من حسه وما يتصوره من شعور

ولو فرضنا جدلا أن الرصافى يحتسى الخمر حقا فى تلك الحقبة الزمنية فقصيدته جاء بها عن طريق النصح والارشاد حتى يتعظ القارئ ويقتنع من قول ناصحه

ولقد سلك الرصافى مسلكا تحايليا لإبانة ضررها بصورة يشعر المطالع لها ان ناظمها ممن يجب الاقتفاء بأثره فيتخذ بنصحه فهذا لا يعتبر كذبا

الفقرة الثانية : —

استشهد الأديب بهذه العبارة للأستاذ الكبير «الزيات بك» (همه من الحياة شرب العرق ، ولعب الورق ، واستباحة الجمال)

إنا لا نزعم أن الرصافى لم يحتس الخمرة قط ولا ذاق طعمها ، بل يعود نظم هذه القصيدة فى وقت كان أبعد ما يكون فيه عن الخمر

أما عبارة الأستاذ الزيات فكانت صريحة لا عثار عليها — وهذا ما نتفق به مع الأديب الناصرى — إذ قدم العراق بين فترة سنة ١٩٣٠ م إلى سنة ١٩٣٣ والرصافى بحد ذاته لا ينكر ذلك بل ينطق بصراحته التى عهدناها فيه . وإليك قصيدته التى نظمها بعد تلك القصيدة أى (العادات قاهرات)

وروعة لا مثيل لهما ، رغم الإيجاز الشديد فى حديثه عن ذلك

وهذه الموازنات بين الشاعرين تسير وفق أحدث المناهج الأدبية فى النقد ؛ فهى ليست نمطاً من الموازنات القديمة ، التى تنظر إلى الألفاظ والقواعد ، وتحليل بيت، وتعداد محاسن وعيوب محدودة ؛ وإنما هى موازنات تنظر إلى البواعث النفسية التى أثرت فى فن كل من الشاعرين وإنتاجهما

إن هذا الكتاب القيم لجدير بأن يضفى على شخصية الصيرفى الشاعر شخصية الناقد الحر الطليق

محمد عبد المنعم خفاجى
مدرس بكلية اللغة العربية

« شكواى من الدهر »

إذا ما عقدنا مجلس الأنس بالطلا ... فبيني وبين السكر خمس دقائق
أقوم إلى كبرى الزجاجات مدهقا ... بمستقطر من خالص التمر رائق
فأقرع بالكأس الروية جبهتي ... بشرب كما عب القطا متلاحق
أسابق ندماني إلى السكر طائرا ... بجنح من الأنس المضاعف خافق
فنادمت أصحابي على غير وحشة ... وقلت لهم ما قلت غير منافق
وأغنيتهم عن نقلهم في شرابهم ... بمز طرى من نقول الحقائق
ولم يبد في السكر عند اشتداده
سوى شكر خلي أو سوى حد خالقي
تعودت سبقي في الفخار فلم أرد
من السكر أن أحظى به غير سابق

هذه هي صراحة الرصافي في شرب الخمر، ولو كان شاربها في ذلك الوقت الذي نظم فيها قصيدته « العادات قاهرات » لاعترف بذلك كما هو معترف بهذه القصيدة

أما وصف الأستاذ الزيات بك للرصافي وهي العبارات المتعلقة في الفقرة الثانية فقد جاءت نتيجة قدومه إلى بغداديين سنة ١٩٣٠ م إلى سنة ١٩٣٣ م فألفاه على ما هو عليه ووصفه بما رآه في تلك الفترة . فهل يجوز أن تكون عبارة الزيات برهانا قاطعا على جميع الأدوار والفترات التي مر بها الرصافي ؟ بينما القصيدة كانت من إنتاجه أيام شبابه حيث لم يتحرر من التقاليد الدينية آنذاك؛ والتي تلقاها على يد أساتذته أمثال الآلوسي وعباس القصاب

الفقرة الثالثة :

ذكر الأستاذ الناصري (ولست أدري ماذا كان الرصافي يقول لو شاهد الآن الغانيات وهن يدخن في شوارع بغداد) إن القارئ الكريم لو ينعم النظر في هذه الجملة لفهم أن الرصافي ولد وعاش في القرن الثامن عشر . فكيف يسوغ للأستاذ أن يكتب مثل هذه الجملة حول الرصافي . وهو الذي توفي سنة ١٩٤٥ م وخالط جميع الطبقات من رفيعة إلى وضيعة ووقف على أسرار كل منهما . وليعلم القارئ أن الرصافي جاب البلدان ورأى بأم عينه مدناً كالآستانة والقاهرة ودمشق وبيروت والقدس وجالس الكثير من عوائلها المتفرنجة التي لا يشين نساءها شرب الدخان وهن يتجولن في المجتمعات العامة والحفلات الخاصة وهو صاحب الدعوة إلى السفور

أمثل هذا الرجل لم تنظر عيناه امرأة بفمها سيكارة خلال السنين التي جاب بها تلك الأقطار ؟!

وفي الختام ليعلم الأستاذ الناصري أننا لم نتطرف في التعليق على هذا الموضوع لولا ما لحق الرصافي من غبن

بغداد — هاشم الطائي

١ـ شبهة شعر

نسب المقدم السيد نعمان ماهر الكنعاني في كتابه شاعرية أبي فراس البيتين التاليين إلى أبي فراس

نحن قوم تذيبنا الأعين النجـ ... ـل على أننا نذيب الحديدا

والصحيح أنها لعبد الله بن قيس الرقيات شاعر مصعب ابن الزبير الذي يقول فيه

إنما مصعب شهاب من الله ... تجلت عن وجهه الظلماء
حكمه حكم رحمة ليس فيه ... جبروت ولا به كبرياء

كما أن البيت الثاني ورد على الصورة الآتية

وترانا يوم الكريهة آسا ... داً وفي السلم للغواني عبيدا

ولست أدري كيف غفل عن ذلك الخطأ الدكتور مصطفى جواد كاتب المقدمة وهو الصديق الذي لا تفوته هذه الأخطاء ؟!

٢ـ دعس لا دهس

نشر الشاعر العراقي الأستاذ أحمد الصافي النجفي قصيدة في جريدة « اليقظة » البغدادية بعنوان « إلى ولي العهد الجنين » جاء فيها

كم قضى منهمو بلكم ودهس ... واختناق كما دخلت الوجودا
امش وادهس فإنهم حشرات ... ألصقوا بالثرى خدوداً وجيداً

وقد لاحظت أن الشاعر أورد لفظة ادهس بمعنى ادعس وهذا خطأ شائع إذ جاء في القاموس « دعس » بفتح الأول

والثانى والثالث وطسه وداسه .. أما من ناحية القصيدة فهى ركيكة الأبيات مهلهلة الصياغة لست أدرى كيف نشرها، إذ لا تخرج عن منظومات تلامذة المدارس الثانوية ، فليت شعرى ما أصاب الأستاذ الصافى وهو صاحب « الأمواج » ..

(٣) الشعر لأبى تمام

جاء فى الصفحه (٣٠٢) من كتاب الأوراق فى أخبار الشعراء لأبى بكر الصولى أن المرثية التى مطلعها

كان الذى خفت أن يكونا إنا إلى الله راجعونا

من شعر أبى محمد « القاسم بن يوسف » ولا شك أن هذه النسبة من سوء تصرف شارح الكتاب لا من الصولى نفسه؛ لأن هذه القصيدة هى من شعر أبى تمام حبيب بن أوس الطائى وهى وتر انا فى ساحة الحرب أحرا راً وفى السلم للحسان عبيدا

منشورة فى ديوانه فى باب المراثى ص (٣٣٦) حرف النون ومنها هذه الأبيات الرائعة

آخر عهدى به صريعا للموت بالداء مستكينا
اذا شكا غصة وكربا لاحظ أو راجع الأنينا
يدير فى رجعه لسانا عنه الموت أن يبينا
يشخص طورا بناظريه وتارة يطبق الجفونا
ثم قضى نحبه فأمسى فى جدث للثرى دفينا

فهل لا نسلم بعد كل هذا من زلل فظيع كنسبة شعر لشاعر مشهور إلى غيره من نكرات الشعراء

بغداد عبد القادر رشيد الناصرى

الى الراغبين فى الحج

قيد الله أداء الحج بالاستطاعة ، وقد فصل الفقهاء بإسهاب ما يجب على من يريد الحج فى كتب الفقه تفصيلا دقيقاً ويزاد عليها أن يكون المال الذى يحج به الإنسان من طريق حلال ومن كسب طيب ــ ولا يقبل الله إلا طيباً ــ قد أديت زكاته وقت وجوبها خال من ظلم العباد ومن الرياء والسمعة وطلب الشهرة والرفعة بين عباد الله حتى يصير خالصاً لوجهه الكريم « إنما يتقبل الله من المتقين »

على أن للحج من الأدب والمتممات ما يجب أن تؤدى على الوجه الأكمل ليكون مقبولا، ولذا نجد مع الأسف الشديد أناسا قليلين أتموا أعمال الحج الظاهرة والباطنة فنارت أفئدتهم وظهر على وجوههم وأعمالهم هذا الإشعاع النورانى الذى يضئ لهم طريق النجاح بل طريق الهداية والفلاح ، والبقية الباقية وهى كثيرة لم تستفد من روحانية الحج شيئاً مذكورا خصوصاً فى عصرنا الراهن الذى أصبحت فيه الأوضاع مقلوبة، فنرى أغنياء الحرب يتكالبون على طلب الشهرة من طريق الحج لأنه فى نظرهم أقصر طريق لوصفهم بالطائفين وللتشبه بالصادقين

ولكنها الدنيا العابثة تجعلنا ما دمنا بعيدين عن روح الدين وعن جادة الطريق ــ نحسب الشر خيراً والشهة حلالاً

ومن آثار الحج المقبول أن يحيى الضمائر التى أماتتها الشهوات النفسية ويجعلها ساهرة على أعمال النفس ــ وقد خلقها الله أمارة بالسوء إلا ما رحم ربى ، فصار لزاماً على من يحج أن يسأل نفسه : لماذا يحج ، ولمن يحج ، وما فائدة حجه ؟ وأن يبلو نفسه ولا يفتر عن تأديبها بين آن وآخر فإ جهاد النفس شديد ــ لقول الرسول عليه السلام فى رواحه من غزوة « رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر » يشير بهذا إلى جهاد النفس ! وأوامر الشرع الحكيم مبنية على المجاهدة

وجماع القول : أن الحج المقبول التام هو تغيير كلى فى الأخلاق والعادات والأفعال ؛ بل هو فى الحقيقة انتقال من حسن إلى أحسن ، ومن كمال إلى أكمل ، والله الموفق للصواب

شطانوف محمد حضور خضر

ولقد عفا عنكم

هكذا ينبغى أن تكون الآية الكريمة ، لا كما جاءت فى السطر السادس والعشرين من الصفحة ٢٩٦ من العدد ٦٢٣ من مجلة الرسالة الغراء الصادر فى ١٢ من مارس سنة ١٩٥١ ، إذ وردت « ولقد عنا الله عنكم » فى صلاة أم عمارة ، وهى من أهل الجنة لا تخطئ فى القرآن ، وهى تصلى به

محمد مختار يونسى

الغيب

عن الانجليزية من روائع « وست »

للأستاذ عبد القادر حميدة

« مسرحية فى فصل واحد »

الأشخاص :

ريتشارد ألين : أستاذ جامعى سابق

إدوارد لين : ضابط متقاعد

المنظر :

(حجرة استقبال بمنزل السنر ريتشارد ألين فى « لوتون » إحدى المدن الصغيرة بانجلترا . . الساعة الخامسة والنصف من أصيل اليوم السادس من يونيو عام ١٩٣٦ — الستر ألين جالس إلى مكتبه يكتب — وعلى مقربة منه قصاصات من أوراق مكتوبة . . وزجاجة من النبيذ وكأسان . . يتناول الكراسة فيمزق آخر ورقة سطرها . . وحين يلقى بها على المقعد . . يصل إلى سمعه دق على الباب فينهض من مكانه . . ويفتحه)

ريتشارد : أدخل يا مستر لين

إدوارد : « فى غرابة » أتعرف اسمى ؟

ريتشارد : كنت أتوقعك

إدوارد : أظن أن الدكتور « راودن » تحدث وإياك بشأنى فى رسالة يقدمنى بها إليك . آمل أن لا تزعجك هذه الزيارة غير الرسمية . .

ريتشارد : « يتناول الرسالة ويلقى بها على المكتب دون أن يفضها » أنا لا أهتم بالرسميات . . إنى أمقتها . . أتسمح لى أن أتناول قبعتك ومعطفك . ؟

« يتناولهما منه ويضعهما على مقعد بجانب المكتب » . . .

« إدوارد جالس »

ريتشارد ؟ « يمسك زجاجة النبيذ وينتزع سدادها . . ويفرغ منها فى جوف كأسين » . . لعلك تشاركنى الشراب . . إنها مناسبة طيبة لنحتفى بك . . « أثناء الشراب » . . فى أى يوم نحن . ؟

إدوارد : فى اليوم السادس من يونيو

ريتشارد : لنشرب حتى الساعة السادسة من اليوم السادس من الشهر السادس عام ١٩٣٦

إدوارد : « وعو يتناول الكأس » إنها الآن السادسة تماما . .

ريتشارد : « فى فزع » . . لا . . ليست كذلك . . والآن . . ابسط إلى الأمر الذى من أجله أردت أن تراني

إدوارد : لقد طالعتنى إحدى الصحف بمقال عنك نادتك فيه بالرجل الفريد فى « لوتون » والأستاذ الجامعى الذى لا يود مطلقاً أن يتحدث إلى أحد . .

ريتشارد : ترهات . ! ! أنا لست بمثقف . . ولست بأستاذ جامعى الآن . . ثم أنى أتحدث إلى كثير من الناس . . بيد أنى لا أحب أن أجادلهم . . إنى أكره مباحثة الأشياء معهم . . لأننى لا أجد أية راحة فى البحث والنقاش

إدوارد : أنا لا أظن أن يوجد فى « لوتون » أناس كثيرون تجد مناقشاتك فى نفوسهم هوى . . فما « لوتون » إلا مدينة ضئيلة ملأى بشرذمة من أغبياء القوم . . الذين لا يثرثرون إلا فى أمور عادية هى أشد تفاهة من عقولهم الصدأة . . وإذا عن لهم أن يطرقوا باب المناقشة فليكن فى الحثالات والنفالات

ريتشارد : قد يكون هذا هو الصواب . . وقد لا يكون فأنا لم أقابل إلا أفراداً قلائل منهم . . وإن كانوا قد تحدثوا إلى فى شىء من الذكاء . . إلا أننى لم أجد لذة فى حديثهم ! ! ! وأنت . . هل أتيت لتقيم هنا على الدوام . ؟

إدوارد : أجل . . أجل . . ! ولقد اعتزلت عملى . . وسأظل هنا على الدوام . . وانه ليسعدنى أن ألقاك من وقت لآخر . . وستجد فى محدثاً يحسن الجدل فى لباقة . ! أنا لا أتفاخر بذكائى ولست أقصد التواضع . . فهو أفت من الكبرياء . ! لقد ارتحلت كثيراً . . واطلعت بتوسع . . وخبرت الحياة . . فوقفت على الكثير من خباياها . ! وإنى أعتقد أنك سوف تراح إلى عن الآخرين . . هل تجد فى حديثى إليك أى غضاضة أو عدم

ارتياح ؟

ريتشارد : حقاً .. ! إنك تملك عقلا سليما .. وتستعمله استعمالا طيبا .. ولكنك سوف لا تتمكن من الوصول إلى السر الذى انطوى عليه .. قبل أن أودع الحياة .. وها هو ذا إعترافى ..

إدوارد : يمكنك أن تثق بى . وإنه ليبدو لى أننى أعرفك من قبل

ريتشارد : « وقد تناول وسادة موضوعة على المكتب » ضع هذه خلف ظهرك لتريحك .. أوه .! أجل .. أنت تعرفنى من قبل .. لقد التقينا فى مدرسة القديس أنطونى

إدوارد : « مستذكراً » نعم .. لقد تذكرت الآن .. « ديك ألين » منافسى الخطير الذى فاز بجوائز المدرسة دونى ..

ريتشارد : أجل .. لقد كنا فى المدرسة زميلين .. كنت أنا مثال الطالب الغبى الذى يتخذ مكانه فى مؤخرة الصفوف .. وكنت أنت أنموذجا رائعا للمجد .. سواء فى عملك أم فى لهوك . أما أنا فقد كنت أرتبك فى أبسط الحاجات .. كم كنت أنظر إليك بعين الحاسد .. لنجاحك المطرد

إدوارد : إنك لم تكن غبيا كما تعتقد . ولكنك لم تجد ميلا من نفسك لدراسة الأشياء .. والتغلغل فى أعماقها .. إنك لم تكن عمليا بالمعنى المقصود

ريتشارد : لم أكن أبدا عمليا .. « لحظة صمت وشرود » ... ذات يوم .. حين كنت فى المدرسة .. عثرت — دون قصد — على كتاب غريب اسمه « قوى العقل الكامنة »

إدوارد : أتقصد قراءة الأفكار ؟ أذكر أنى قرأت بعض تجارب لهذا النوع .. كم كانت مسلية للغاية .. فمثلا .. الرجل يفكر فى رقم من الأرقام .. أو اسم من الأسماء ... فتذكره له زوجه ... ولكن التجارب لم تكن دائما موفقة

ريتشارد : لا ... لست أقصد قراءة الأفكار ... إن ما أعنيه هو معرفة « الغيب » . ومعرفة الغيب هى إدراك المستقبل والتنبؤ به .. والإنسان الذى يوهب هذا الشىء الخارق .. تكون له القدرة على لمس الحوادث قبل وقوعها .. قال الكتاب هذا .. وقال أيضا إن هذه القوى نادرة الوجود جدا .. ففى كل مليون آدمى .. واحد فقط هو الذى يملكها .. وغالبا ما يجهل هذا الواحد أنه يملكها ! قال الكتاب إن هذه القوى يمكن تنميتها وفسر كيف يكون ذلك

إدوارد : « فى دهشة » أنا لا أفهم شيئا مما تقول .. زدنى أيضاحا

ريتشارد : « متضايقا » سل نفسك عدة أسئلة عن أشياء تتوقع حدوثها .. دون أن تشغل عقلك بشىء .. وعندئذ ستتوارد الإجابات على ذهنك

إدوارد : هراء .! إنه غير ممكن .. وليس لمخلوق القدرة على التنبؤ بالغيب

ريتشارد : أرجوك .. لا تقاطعنى .. أنصت الى قصتى العجيبة :

لم أكن سوى طفل صغير غير مصدق ما يضمه هذا الكتاب بين دفتيه .. وهل اكتملت فيه عوامل الصواب .. أم لا .؟ . حاولت بادئ ذى بدء . أن أتنبأ بأشياء صغيرة على سبيل التجربة، فمثلا كنت أسائل نفسى : من الذى سيقتحم على الغرفة بعد ؟ . وخطت محاولاتى خطوات واسعة .. حتى أقدمت على ذلك الاختبار التاريخى الذى كنت أخشاه لعقيدتى الراسخة بأنه نوع من الخداع وحاولت التنبؤ بالأسئلة التى سوف تلقى على

إدوارد : وماذا كانت النتيجة ؟ أذكر أنك صعدت لجأة إلى القمة .. وصرت تبزنى بعدها فى كل الامتحانات

ريتشارد : نعم لقد كنت دائما أحمل لك فى نفسى الحقد والحسد لتفوقك على .. ولكن بعد ذلك .. بدأ نجمى فى الصعود .. وأخذت أحوز السبق فى المهمة دونك .. لأننى أصبحت مخادعا عبقريا .. أجل .. إنه اعتراف صارخ منى بأن نجاحى كان خدعة كبيرة .. ثم سارت حياتى فى ركب الحياة على تلك الوتيرة وهذا هو سر فشلى

إدوارد : ولكنك بتلك القوة الخارقة .. تستطيع أن تنال قسطا وافرا من النجاح ..

ريتشارد : انتبه .. لقد كسبت جائزة مدرسية كما تعرف ... ثم حصلت على مجانية التعليم الجامعى .. وكل جائزة جامعية وصرت فى طليعة المتقدمين .. ولم يجرؤ أحد على منافستى . ولما نلت إجازة التدريس عينت أستاذا بالجامعة .. وأذكر أنى كنت أحدث أستاذ تولى ذلك المنصب .. وبعدها ...

إدوارد : « فى تحفز » ماذا حدث ؟

ريتشارد : قدمت استقالتى ... لقد كان يجب على أن أستقيل كنت أجهل المادة التى أدرسها ... وهى الأدب الإنجليزى ...

إذ كان عقلي لا يحمل سوى القـــدر اليسير الذي اجتزت به الامتحان ... أعني الأسئلة التي تنبأت بهـا ... ودرست الإجابة عنها

إدوارد : وماذا كان من أمرك بعد ؟ أوفقت في الحصول على عمل آخر ؟

ريتشارد : أرسلت طلبات عدة ... ضاعت معها محاولاتي أدراج الرياح ... بيد أني في النهاية وفقت إلى عمل متواضع ... كمدرس بسيط ... ولـكني استقلت

إدوارد : « في عجب » استقلت ! كيف ذلك ؟ إني أعتقد أنك سوف تكون مدرسا موفقا ... لاسيما وأنك ستعرف ماستأتي به الامتحانات ... وسينجح تلاميذك بفضل إرشادك إياهم إلى الإجابة الصحيحة

ريتشارد : « في أسف » أجل : كان من السهل أن افعل ذلك . ولـكن ضميري لم يسمح لي بأن ألقي بتلاميذي في بؤرة الجهل التي تحتويني . فلم أرض أن أخدعهم . وتجنبت مواضع الأسئلة التي سيمتحنون فيها .. وكان أن رسب جميع التلاميـذ فرميت بعـدم الـكفاءة على التدريس . . وأقصيت من عملي وواجهتني عاصفـة هوجاء من الفقر . . فقلت لنفسي . . إذا لم يتيسر لي الحصول على المـال الشريف فسأنهج أي طريق آخر للحصول عليه .. « يرمق إدوارد بنظرة طويلة شاردة » ألم تذهب يوما إلى السباق .. ألم تراهن على جواد ما ؟

إدوارد : راهنت أكثر من مرة . . ولا زلت أراهن على المملـكة الفضية

ريتشارد : « وقد أسبل جفنيه وقتا » .. راجا هو الأول .. المملـكة الفضية هو الثاني .. الحظ هو الثالث .. سوف تخسر كل مراهناتك يامستر إدوارد ! لقـد ربحت من وراء المراهنات مالا طائلا .. ولـكني لم أتذوق لذة هذا الربح لأني كنت أعرف أنني سأربح دائما .. إن لذة المال ليست في كسبه ... وإنما هي في التنقيب عنه والجري وراءه !!

إدوارد : إنك مثالي للغاية .. ولم تحـاول مطلقا أن تقنع نفسك بلذة الحصول على هذا المال

ريتشارد : « مستطردا » ولما لم أشعر بلذة هـذا الربح .. عولت على ترك المراهنات .. والتحقت بمكتب للتأمين .. كنت قادرا على أن أدلي بآرائي السديدة إلى الشركة فأشير عليها مثلا بقبول تأمين هـذا . . لأنه سيحيا طويلا . . ورفض ذاك لأنه سيموت غدا ! ولاقت توجيهاتي رواجا محمودا .. فتبوأت في الشركة مقعد المجد والشهرة .. وعينت وكيلا لها بإحدى المـدن الضخمة .. ثم مستشارا عاما لجميع شركات التأمين ..

إدوارد : لعله عمل طيب ومدر للربح في وقت واحـد !

ريتشارد : لا بل كان على النقيض . . لأنني كنت أدرك خطورة الجرم الذي أقدم عليه .. لقد كانت الشركة دائما تستحوذ على أكبر قدر من المال .. والجمهور هو الذي يخسر .. هل تسول لك نفسك أن تحرم إنسانا حقه .. فتسلب أمواله .. لتقدمها إلى الشركة .. وربما أنت تعرف أن أسرته وأولاده في مسيس الحاجة إلى هذا المال ؟ إن التأمين الوحيد الذي جعلني أشعر بالسرور ذلك الذي أشرت على الشركة أن تعقـده — وكنت أدرك نتيجته — فخسرت الشركة كل أموالها .. ولهذا طردت من عملي

إدوارد : إنك ذو قلب كبير . وضمير مستيقظ . ولـكن لماذا لم تخض ميدان التجارة .. أو الصناعة .. وفي مقدورك أن تفلح دون أن تؤذي الآخرين .؟

ريتشارد : حاولت كثيرا ولـكني لم أستمر ..

إدوارد : كيف ؟ تقصد أنك لم تفلح في تجارتك ؟

ريتشارد : كنت موفقا إلى حد بعيد .. فصار لدي المـال الوفير .. وأصبحت من ذوي الثراء .. ولـكني فقدت لذة الكفاح في سبيل الـكسب .. وهتفت بالسعادة من ورائه فضللت السبيل إليها .. إن مجرد كسب المال ليس كل ما ينشده إنسان طموح يحـاول جاهدا أن يساير ركب البشرية الواجف الذي يتدافع بالمناكب نحو غاية سامية . . إن المنافسة والنضال . . والرغبة في الغلبة .. والأمل في الربح .. هي السعادة المأمولة لرجل الأعمال .. المال يمنح النفوذ والقوة . ولـكن النفوذ والقوة لم يكونا عمادا للسعادة .. إن الأعمال يجب أن تقترن دائما بالمنافسة .. إنها مباراة يكسب فيها كل جدير بالـكسب ! أما أنا فكانت منافستي خالية من حرارة النضال .. لأنني كنت أعرف أن الظفر لي .. وحيثما أظفر .. يتراءى أمام عيني شبح الخداع الذي أتوارى خلفه .. فلا تألم

إدوارد : إن قصتك هذه من النوع الشاذ يامستر ريتشارد ... وماذا تصنع الآن .؟

ريتشارد: لاشئ سوى اطلاعي على الروايات القصصية والأدب.. فأنت لا تستطيع أن تتنبأ بحوادث القصة لأن الخيال بعيد عن عالم الحقيقة .. وكذلك كتب التاريخ .. فقد مرت حوادثه .. وليس من السهل إرجاعها ..

إدوارد : ولكن .. دعنى أعرف .. لماذا تضيق بالمناقشة .؟

ريتشارد : انظر إلى هذه الأوراق التى أمامك ..

إدوارد : « يتناولها ويقلب صفحاتها فى دهشة وحيرة .. ثم يقرأ بصوت عال »

أتعرف اسمى ؟ أظن أن الدكتور « راودن » تحدث إليك بشأنى .. لقد طالعتنى إحدى الصحف بمقال عنك .. نادتك فيه بالرجل الفريد فى « لوتون » .. أنا أفخر بذكائى .. ولست أقصد التواضع فهو أغث من الكبرياء . أنقصد قراءة الأفكار أذكر أنى قرأت بعض تجارب لهذا النوع .. كيف لم تصبح أغنى رجل فى العالم ؟ الملكة القضية .. إن قصتك هذه من النوع الشاذ .. وماذا تصنع الآن ؟

يالهى .. إنه نفس الحديث الذى ألقيته عليك منذ دخلت الغرفة ..

ريتشارد : لقد كتبت هذا قبل مجيئك هنا ... « يصمت بعض الوقت » أنا لا أحب المناقشة ... لأنى أعرف دائما ماسيقوله المرء الذى سيتحدث إلى ... « يشحب لونه وتظهر على محياه بوادر الخوف والفزع ويتمتم » كم تكون الساعة الآن ؟

إدوارد : السادسة إلا أربع دقائق ... ...

« يزداد لون وجهه امتقاعا ... ويلتمع فى عينيه شرر مخيف ... ويقول إدوارد مضطربا »

لماذا استبقيتنى معك حتى الان .. ؟

ريتشارد : إن صحتك دائما تتقهقر خطوات إلى الوراء ..

إدوارد : أعرف ذلك .. وأعرف أنى .. فى طريق إلى الموت.

ريتشارد : أنت دائم القلق على مصير زوجك وأولادك ... إن زوجك ستتزوج بعد واحد وعشرين شهرا ... أما أولادك ... فسيرعاهم إنسان غيرك

إدوارد : « صارخا » ... أرملتى ... أرملتى ... !! ماذا تقصد بهذا .؟

ريتشارد : ما الوقت الان .؟

إدوارد : السادسة إلا ثلاث دقائق ...

ريتشارد : « ينهض متثاقلا » لقد كنت دائما منافسى .. وأردت أن أسرد على سمعك قصتى قبل أن أرحل من دار الحياة « يجلس على المقعد لاهثا » هل تسمح لى بتلك السادة ؟

إدوارد : « وهو يناوله السادة » أمريض أنت يامستر ريتشارد .؟ هل لك فى جرعة من النبيذ ؟

« يضع فى يده كأسا من النبيذ .. ولكن ريتشارد لم يقو على ارتشافها » أمريض أنت ..؟

أأدعو لك طبيبا ؟

ريتشارد : « وهو يغالب شفتيه .. فى ألم ممض »

الساعة السادسة ... من اليوم السادس ... من الشهر السادس ... من العام السادس والثلاثين ... هو التاريخ الذى سأجرع فيه كأس المنون ...

أنا ... لا ... أقدر ... أن ... أخادع .. فى هذا ... الامتحان ... !!

أ ... أ ... أعنى .. ا .. أ .. الموت ..!

تسقط الكأس من يده .. وتتلاشى الأضواء .. ويبدو المسرح فى حلة من الظلام .. بينما تدق الساعة دقتها السادسة تماما

عبد القادر حمزة

مطبعة الرسالة